

رِجَالُ جُودِ النَّبِيِّ

خالد محمد خالد

الجزء الرابع من

رجال حول الرسول

الطبعة الخامسة



دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة
لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

خالد . خالد محمد .
رجال حول الرسول : خالد محمد خالد .
ط ٥ - القاهرة : دار المعارف - (٢٠١٠) .
مج ٤ : ١٩٠٥ سم
تدقيق : ٧ - ٧٣٨٤ - ٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨ .
١ - الصحابة والتابعون .
١ - العنوان .

نوى ٢٣٩.٩

رقم الإيداع ٢٠٠٩ / ٢٤٦٥١ ١ / ٢٠٠٩ / ٧٧

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج. م. ع .

هاتف : ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

فِي هَذَا الْكِتَابِ

صفحة

٩	العباس بن عبد المطلب: ساقى الحرمين
٣١	أبو هريرة: ذاكرة عصر الوحي !!
٤٩	البراء بن مالك: الله، والجنة.....
٦١	عُتْبَةُ بن غَزْوَان: غَدَا، ترون الأمراء من بعدى
٦٩	ثابت بن قيس: خطيب رسول الله
٧٩	أُسَيْدُ بن حُضَيْر: بطل يوم السقيفة.....
٨٩	عبد الرحمن بن عوف: ما يُبْكِيكَ يا أبا محمد؟.....
١٠٥	أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام: ظليل الملائكة !!.....
١١١	عمر بن الجموح: أريدُ أن أخطر بعرجتي في الجنة !!.....
١٢١	حبيب بن يزيد: أسطورة فداءٍ وحب
١٢٩	أَبِي بن كعب: لِيَهْنِكَ العلم، أبا المُنْذِر.....
١٣٥	سعد بن معاذ: هنيئاً لك، أبا عمرو.....
١٤٩	سعد بن عُبادَة: حامل راية الأنصار.....

مراجع الكتاب

- ١ - الإصابة ، في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر العسقلاني
- ٢ - الاستيعاب ، في أسماء الأصحاب للحافظ ابن عبد البر
- ٣ - السيرة النبوية لابن هشام
- ٤ - حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني
- ٥ - الطبقات الكبرى للحافظ محمد بن سعد
- ٦ - البداية والنهاية للحافظ ابن كثير

العبّاسُ بن عبد المطلب ساقى الحَرَمَيْنِ

في عام الرّمادة، وحين أصاب العباد والبلاد قحط وبيل، خرج أمير المؤمنين عمر، والمسلمون معه، إلى الفضاء الرّحب يُصلُّون صلاة الاستسقاء، ويضرعون إلى الله الرحيم أن يرسل إليهم الغيث والمطر.

ووقف عمر، وقد أمسك يمين العباس بيمينه، ورفعها صوب السماء وقال:

«اللهم إنا كُنّا نستسقى بنبيك وهو بيننا..

«اللهم وإنا اليوم نستسقى بعمّ نبيك، فأسقنا»..

ولم يغادر المسلمون مكانهم حتى جاءهم الغيث، وهطل المطر،

يَرْفُ الْبُشْرَى، وَيَنْحُ الرِّىَّ، وَيُخَصِّبُ الْأَرْضَ..

وَأَقْبَلَ الْأَصْحَابَ عَلَى الْعَبَّاسِ يَعَانِقُونَهُ، وَيُقَبِّلُونَهُ، وَيَتَبَرَّكُونَ
بِهِ وَهُمْ يَقُولُونَ:

«هَنِيئًا لَكَ..

سَاقِي الْحَرَمَيْنِ»...

فَمَنْ كَانَ «سَاقِي الْحَرَمَيْنِ» هَذَا..؟

وَمَنْ ذَا الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ عَمْرٌ إِلَى اللَّهِ.. وَعُمَرُ مَنْ نَعَرَ تَقَى
وَسَبَقًا وَمَكَانَةً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ وَلَدَى الْمُؤْمِنِينَ..؟؟

إِنَّهُ «الْعَبَّاسُ» عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..

كَانَ الرَّسُولُ يُجِلُّهُ بِقَدْرٍ مَا كَانَ يُحِبُّهُ، وَكَانَ يَمْتَدِّحُهُ وَيُطْرِي
سَجَايَاهُ قَائِلًا:

«هَذَا بَقِيَّةُ آبَائِي»...

* * *

«هَذَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَجُودُ قَرِيشٍ كَفَا

وَأَوْصَلُهَا»!!..

وَكَمَا كَانَ «حَمْزَةُ» عَمَّ الرَّسُولُ وَتَرَبَّهَ، كَذَلِكَ كَانَ الْعَبَّاسُ،

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا..

فلم يكن يفصل بينها في سنوات العمر سوى سنتين أو ثلاث،
تزيد في عمر العباس عن عمر الرسول..

وهكذا كان محمد، والعباس عمه، طفلين من سن واحدة،
وشابين من جيل واحد..

فلم تكن القرابة القريبة وحدها، آصرة ما بينها من وُدٍّ، بل
كانت كذلك زمالة السنِّ، وصداقة العمر..

وشيء آخر تضعه معايير النبي في المكان الأول دوماً.. ذلك هو
خلق العباس وسجاياه..

فلقد كان «العباس» جواداً، مُفرط الجود، حتى كأنه للمكارم
عمّها أو خالها!!!

وكان وصولاً للرَّحِم والأهل، لا يَضُنُّ عليها بجهد ولا بجاه،
ولا بمال..

وكان إلى هذه وتلك، فَطِناً إلى حدِّ الدهاء، وبفطنته هذه التي
تعرّزها مكانته الرفيعة في قریش، استطاع أن يدْرَأَ عن الرسول
عليه الصلاة والسلام حين جهر بدعوته الكثير من الأذى
والسوء..

* * *

كان «حمزة» كما رأينا في حديثنا عنه من قبل يعالج بُغْيَ قريش، وصَلَفَ أبي جهل بسيفه الماحق..

أما العباس، فكان يُعالجها بفطنة ودهاء أدباً للإسلام من النفع مثلما أدت السيوف المدافعة عن حقه وحماه!!..

فالعباس لم يُعلن إسلامه إلا عام فتح مكة، مما جعل بعض المؤرخين يعدونه مع الذين تأخر إسلامهم...

بيد أن روايات أخرى من التاريخ تنبئ بأنه كان من المسلمين المبكرين، غير أنه كان يكتُم إسلامه..

يقول «أبو رافع» خادم الرسول صلى الله عليه وسلم:

«كنتُ غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمتُ أم الفضل، وأسلمتُ... وكان العباس يكتُم إسلامه»..

هذه رواية «أبي رافع» يتحدث بها عن حال «العباس» وإسلامه قبل غزوة بدر...

كان العباس إذن مسلماً..

وكان مقامه بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه

خطة أدت غايتها على خير نسق..

ولم تكن قريش تخفى شكوكها في نوايا «العباس»، ولكنها أيضاً لم تكن تجد سبيلاً لمحاذته، لاسيما وهو في ظاهر أمره على ما يرضون من منهج ودين..

حتى إذا جاءت «غزوة بدر» رأتها قريش فرصة تبلو بها سريرة العباس وحقيقته..

والعباس أذهى من أن يغفل عن اتجاهات ذكر المكر السيئ الذى تعالج به قريش حركاتها، وتنسج به مؤامرتها..

ولئن كان قد نجح في إبلاغ النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أنباء قريش وتحركاتها، فإن قريشاً ستنجح في دفعه إلى معركة لا يؤمن بها ولا يريدوها.. بيد أنه نجاح موقوت لن يلبث حتى ينقلب على القرشيين خساراً وبواراً..

* * *

ويلتقى الجمعان في غزوة بدر...

وتصطك السيوف في عنفوان رهيب، مقررة مصير كل جمع، وكل فريق..

وينادى الرسول فى أصحابه قائلاً:

«إن رجالاً من بنى هاشم، ومن غير بنى هاشم، قد
أُخْرِجُوا كَرْهًا، لا حاجة لهم بقتالنا.. فمن لقي منكم
أحدهم فلا يقتله...»

«من لَقِيَ أبا الْبَخْتَرِيِّ بن هشام بن الحارث بن أسد
فلا يقتله...»

«وَمَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما
أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا...»

لم يكن الرسول بأمره هذا يخصُّ عمه العباسَ بمزية، فما تلك
مناسبة المزايا، ولا هذا وقتها..

وليس محمد - عليه الصلاة والسلام - من يرى رءوس
أصحابه تتهاوى فى معركة الحق، ثم يشفع والقتال دائر لعمه، لو
كان يعلم أن عمه من المشركين..
أجل...

إن الرسول الذى نُهِيَ عن أن يستغفر - مجرد استغفار -
لعمه أبى طالب، على كثرة ما أُسْدَى أبو طالب له وللإسلام من
أياد وتضحيات..

ليس هو - منطقاً وبداهة - من يجيء في غزوة بدر ليقول لمن يقتلون آباءهم وإخوانهم من المشركين: استثنوا عمى ولا تقتلوه...!!

أما إذا كان الرسول يعلم حقيقة عمه، ويعلم أنه يطوى على الإسلام صدره، كما يعلم أكثر من غيره، الخدمات غير المنظورة التي أدّاها للإسلام.. كما يعلم أخيراً أنه خرج مُكرّهاً ومُحرّجاً فأنّذ يصير من واجبه أن يُنقذ مَنْ هذا شأنه، وأن يعصم من القتل دمه ما استطاع لهذا سبيلاً...

وإذا كان «أبو البختري بن الحارث» وهو الذي لم يُعرف له إسلام يخفيه، ولم يناصر الإسلام سرّاً كما كان يناصره العباس.

كل فضيلته أنه لم يكن يشارك سادة قريش في إنزالهم الضّرّ والظلم بالمسلمين، ولم يكن يرضى عن صنيعهم ذاك، وأنه خرج معهم إلى غزوة بدر مُحرّجاً ومكرّهاً..

إذا كان «أبو البختري» وهذا شأنه، قد ظفر بشفاعة الرسول لدمه حتى لا يُهدّر، ولحياته كي لا تُزهق..

أفلا يكون جديراً بهذه الشفاعة، مسلم يكتُم إسلامه..

ورجل له في نصرة الإسلام مواقف مشهودة، وأخرى طوى
عليها ستر الخفاء...؟؟

بلى... ولقد كان العباس ذلك المسلم، وذلك النصير.
ولنعد للوراء قليلاً لنرى...

* * *

في بيعة العقبة الثانية عندما قدم مكة في موسم الحج وفد
الأنصار، ثلاثة وسبعون رجلاً وسيدتان، ليعطوا الله ورسوله
ببِعَتَهُمْ، وليتفقوا مع النبي عليه السلام على الهجرة إلى المدينة،
أنهى الرسول إلى عمه العباس نبأ هذا الوفد، وهذه البيعة.. وكان
الرسول عليه السلام يثق بعمه في رأيه كله.

ولما جاء موعد اللقاء الذي انعقد سرّاً وخُفية، خرج الرسول
وعمه العباس إلى حيث كان الأنصار ينتظرون..

وأراد العباس أن يعجّم عود القوم ويتوثق للنبي منهم..
ولندع واحداً من أعضاء الوفد يروى لنا النبأ، كما سمع
ورأى.. ذلكم هو «كعب بن مالك» رضى الله عنه:

«... وجلسنا في الشُّعب ننتظر رسول الله صلى الله

عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب..
وتكلم العباس فقال: يا معشر الخزرج، إن محمدًا منا
حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا فهو في عزٍّ من
قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم
واللحق بكم...

«فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه،
ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك..
«وإن كنتم ترون أنكم مُسلموه وخاذلوه بعد خروجه
إليكم، فمن الآن فدعوه»..

كان العباس يلقي بكلماته الحاسمة الحازمة هذه، وعيناه
تُحدِّقان كعيني الصقر في وجوه الأنصار... يتتبع وَقْع الكلام وردود
فعله العاجلة...

ولم يكتف العباس بهذا، فذكاؤه العظيم ذكاء عملي يتقصى
الحقيقة في مجالها المادى، ويواجه كل أبعادها مواجهة الحاسب
الخبير. هنالك استأنف حديثه مع الأنصار بسؤال ذكى ألقاه، ذلك
هو:

«صفوا لى الحرب، كيف تقاتلون عدوكم»!!!؟؟

إن العباس بقطنته وتجربته مع قريش يدرك أن الحرب لا محالة قادمة بين الإسلام والشرك، فقريش لن تتنازل عن دينها ومجدها وعنادها.

والإسلام ما دام حقاً لن يتنازل للباطل عن حقوقه المشروعة..

فهل الأنصار - أهل المدينة - صامدون للحرب حين تقوم...؟؟
وهل هم - من الناحية الفنية - أكفاء لقريش، يجيدون فن الكر والفرّ والقتال...؟؟

من أجل هذا، ألقى سؤاله السالف:

«صفوا لي الحرب، كيف تقاتلون عدوكم»...؟؟

كان الأنصار الذين يُصْغون للعباس رجالاً كالأطواد...

ولم يكذ العباس يفرغ من حديثه، لا سيما ذلك السؤال المثير الحافز حتى شرع الأنصار يتكلمون...

وبدأ عبد الله بن عمرو بن حرام مجيباً على السؤال:

«نحن - والله - أهل الحرب.. غُذينا بها، ومُرِّنا عليها،

وورثناها عن آبائنا كابرًا فكابراً...

«نَرْمِي بِالنَّبْلِ، حَتَّى تَفْنَى...»

«ثُمَّ نَطَاعِنُ بِالرَّمَاكِ، حَتَّى تُكْسِرَ...»

«ثُمَّ نَمْسِي بِالسَّيْفِ، فَتُضَارِبُ بِهَا حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ

مَنَا أَوْ مِنْ عَدُونَا»...!!

وَأَجَابَ الْعَبَّاسُ مَتَهَلِّلًا:

«أَنْتُمْ أَصْحَابُ حَرْبٍ إِذَنْ، فَهَلْ فِيكُمْ دُرُوعٌ...؟؟»

قَالُوا:

«نَعَمْ.. لَدَيْنَا دُرُوعٌ شَامِلَةٌ»..

ثُمَّ دَارَ حَدِيثٌ رَائِعٌ وَعَظِيمٌ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ الْأَنْصَارِ.. حَدِيثٌ سَنَعَرُضُ لَهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -
- فِيمَا بَعْدَ

* * *

هَذَا هُوَ مَوْقِفُ الْعَبَّاسِ فِي بَيْعَةِ الْعُقَبَةِ...

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ، أَمَا كَانَ يَوْمُنَاذَ اعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ سِرًّا، أَمَا كَانَ لَا يَزَالُ
يَفْكَرُ، فَإِنْ مَوْقِفُهُ الْعَظِيمُ هَذَا يَحْدُدُ مَكَانَهُ بَيْنَ قَوَى الظَّلَامِ

الغارب، والشروق المقبل، ويصور أبعاد رجولته ورسوخه..!!

* * *

ويجيء يوم «حُنين» ليؤكد فدائية هذا الهادئ السَّمت، اللين الجانب، وليبرز فوق أرض المعركة، ذلك النوع من البطولة التي تملأ الزمان والمكان حينما تدعو الحاجة إليها، وهيب الموقف بها، بينما هي في غير ذلك الظرف المُلح، مستكنة تحت الأضلاع، متوارية عن الأضواء..!!

* * *

في السنة الثامنة من الهجرة، وبعد أن فتح الله مكة لرسوله ولدينه عز على بعض القبائل السائدة في الجزيرة العربية أن يحقق الدين الجديد كل هذا النصر بهذه السرعة...

فاجتمعت قبائل هوازن وثقيف ونصر وجشم وآخرون. وقرروا شنَّ حرب حاسمة ضد الرسول والمسلمين...

إن كلمة «قبائل» لا ينبغي أن نخدعنا عن طبيعة تلك الحروب التي كان يخوضها الرسول طوال حياته، فنظن أنها كانت مجرد مناوشات جبلية صغيرة، فليس هناك حروب أشد ضراوة من حروب تلك القبائل في معاقلها..!!

وإدراك هذه الحقيقة لا يعطينا تقديرًا سديدًا للجهد الخارق
الذى بذله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فحسب، بل
يعطينا تقديرًا صحيحًا وأمينًا لقيمة النصر العظيم الذى أحرزه
الإسلام والمؤمنون؛ ورؤية واضحة لتوفيق الله المائل فى هذا
النجاح وذلك الانتصار..

احتشدت تلك القبائل فى صفوف لجة من المقاتلين الأشداء..
وخرج إليهم المسلمون فى اثنى عشر ألفًا..
اثنا عشر ألفًا..؟؟

وممن..؟؟

من الذين فتحوا «مكة» بالأمس القريب، وشيعوا الشرك
والأصنام إلى هاويتها الأخيرة والسحيقة، وارتفعت راياتهم تملأ
الأفق دون مُشَاغِب عليها أو مزاحم لها..!!
هذا شيء يبعث الزهو..

والمسلمون فى آخر المطاف بشر، ومن ثم، فقد ضعفوا أمام
الزهو الذى ابتعثته كثرتهم ونظامهم، وانتصارهم الكبير بمكة،
وقالوا:

«لَنْ نَغْلِبَ الْيَوْمَ عَنْ قِلَّةٍ»..

ولما كانت السماء تُعِدُّهم لغاية أجلٍّ من الحرب وأسمى، فإن
ركوبهم إلى قوتهم العسكرية، وزهْوهم بانتصارهم الحربي، عمل
غير صالح ينبغي أن يَبْرَأوا منه سريعاً، ولو بصدمة شافية...
وكانت الصدمة الشافية هزيمة كبرى مباغتة في أول القتال،
حتى إذا ضَرَعُوا إلى الله، وَبَرَّئُوا مِنْ حَوْلِهِمْ إلى حَوْلِهِ، ومن قوتهم
إلى قوته، انقلبت الهزيمة نصراً، ونزل القرآن الكريم يقول
للمسلمين:

﴿... وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ
شَيْئاً، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، ثُمَّ وَلَّيْتُمْ
مُذَبِّرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا، وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا،
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾...

كان صوت العباس يومئذ وثباته من ألم مظاهر السكينة
والاستبسال.. فبينما كان المسلمون متجمعين في أحد أودية تِهَامَةٍ
ينتظرون مجيء عدوهم، كان المشركون قد سبقوهم إلى الوادي

وكنوا لهم في شِعَابِهِ وَأَحْنَائِهِ، شاحِذِينَ أَسْلِحَتِهِمْ، مُمْسِكِينَ زِمَامَ
المِبادِرَةِ بِأَيْدِيهِمْ..

وعلى حين غفلة، انقضوا على المسلمين في مفاجأة مذهلة،
جعلتهم يُهْرَعُونَ بَعِيدًا، لَا يَلُوى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ...

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثه الهجوم
المفاجئ الخاطف بالمسلمين، فعلا صهوة بغلته البيضاء، وصاح:

«إلى أين أيها الناس..؟؟»

«هَلُّمُوا إِلَيَّ...»

«أنا النبي لا كَذِب...»

«أنا ابنُ عبدِ المطلب...»

لم يكن حول النبي ساعتئذ سوى أبي بكر، وعمر، وعلى
ابن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وولده الفضل
ابن العباس، وجعفر بن الحارث، وربيعه بن الحارث، وأسامة
ابن زيد، وأمين بن عبيد، وقلة أخرى من الأصحاب..

وكان هناك سيدة أخذت مكاناً عالياً بين الرجال والأبطال..

تلك هي «أُم سُلَيْمِ بنتِ مِلْحَانَ»..

رأت ذهول المسلمين وارتباكهم، فركبت جبل زوجها
«أبي طلحة» رضى الله عنها، وهرولت به نحو الرسول..
ولما تحرك جنينها فى بطنها، وكانت حاملا، خلعت بُردتها وشدت
بها على بطنها فى حزام وثيق، ولما انتهت إلى النبى صلى الله عليه
وسلم شاهرة خنجرًا فى يمينها ابتسم لها الرسول وقال:
«أم سليم؟؟»..

قالت:

«نعم.. بأبى أنت وأُمى يا رسول الله..
«اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك، كما تقتل الذين
يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل»..
وازدادت البسمة ألقًا على وجه الرسول الواثق بوعد ربه
وقال لها:

«إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم»..!!

هناك ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الموقف، كان
العباس إلى جواره، بل كان بين قدميه آخذًا بخطام بغلته، يتحدى
الموت والخطر..

وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يصرخ في الناس، وكان
العباس جسيماً جهورى الصوت، فراح ينادى:
«يا معشر الأنصار...
يا أصحاب البيعة...»

وكأنما كان صوته داعي القدر ونذيره...
فما كاد يقرع أسماع المرتاعين من هول المفاجأة، المشتتين في
جنبات الوادى، حتى أجابوا في صوت واحد:
«لَبَّيْكَ... لَبَّيْكَ...»

وانقلبوا راجعين كالإعصار، حتى إن أحدهم ليحرن بعيره أو
فرسه، فيقتحم عنها ويترجل، حاملاً درعه وسيفه وقوسه، مُيمِّماً
صوب صوت العباس...

ودارت المعركة من جديد... ضارية، عاتية..
وصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«الآن حمى الوطيس...»

وحمى الوطيس حقاً..

وتدحرج قتلى هوازن وثقيف، وغلبت خيل الله خيل اللات،

وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين..!!

* * *

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العباس عمه حباً كبيراً، حتى إنه لم ينم يوم انتهت غزوة بدر، وقضى عمه ليله في الأسر..

ولم يُخَفِ النبي عليه السلام عاطفته هذه، فحين سُئل عن سبب أرقه، وقد نصره الله نصراً مؤزراً أجاب:
«سمعتُ أنين العباس في وثاقه»...

وسمع بعض المسلمين كلمات الرسول، فأسرع إلى مكان الأسرى، وحلَّ وثاق العباس، وعاد فأخبر رسول الله قائلاً:
«يا رسول الله...

إني أرخيت من وثاق العباس شيئاً»...

ولكن لماذا العباس وحده..؟

هنالك قال الرسول لصاحبه:

«اذهب، فافعل ذلك بالأسرى جميعاً»..

أجل، فحب النبي صلى الله عليه وسلم لعمه لا يعنى أن يميزه

عن الناس الذين تجمعهم معه ظروف مماثلة..
وعندما تقرر أخذ الفدية من الأسرى، قال الرسول لعمه:
«يا عباس...»

أفد نفسك، وابن أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل
ابن الحارث، وحليفك عتبة بن عمرو وأخا بني الحارث
ابن فهر، فإنك ذو مال...»

وأراد العباس أن يغادر أسرَه بلا فدية، قائلا:

«يا رسول الله، إني كُنتُ مسلماً، ولكن القوم
استكروهني...»

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أصرَّ على الفدية، ونزل
القرآن الكريم في هذه المناسبة يقول:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ
اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ
لَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

وهكذا فدى العباس نفسه ومن معه، وقفل إلى مكة راجعاً...
ولم تخدعه قريش بعد ذلك عن عقله وهُداه، فبعد حين جمع ماله

وحمل متاعه، وأدرك الرسول بخيبر، ليأخذ مكانه في موكب الإسلام، وقافلة المؤمنين... وصار موضع حب المسلمين وإجلالهم العظيم، لا سيما وهم يرون تكريم الرسول له وحبه إياه وقوله عنه :

«إنما العباس صنو أبي..»

فمن أذى العباس فقد آذاني..».

وأنجب العباس ذرية مباركة.

وكان حَبْر الأمة «عبد الله بن عباس» واحدًا من هؤلاء الأبناء المباركين.

وفي يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين سمع أهل العوالى بالمدينة منادياً ينادى :

«رحم الله من شهد العباس بن عبد المطلب..»

فأدركوا أن العباس قد مات..

وخرج الناس لتشيعه في أعداد هائلة لم تعهد المدينة مثلها..

وصلى عليه خليفة المسلمين يومئذ «عثمان» رضى الله عنه.

وتحت ثرى البقيع هدأ جثمان «أبى الفضل» واستراح..
ونام قريرَ العين، بين الأبرار الذين صدقوا ما عاهدوا الله
عليه !!



أَبُو هُرَيْرَةَ

ذَاكِرَةُ عَصْرِ الْوَحْيِ ١١

صحيح أن ذكاء المرء محسوب عليه..
وأصحابُ المواهب الخارقة كثيراً ما يدفعون الثمن في نفس
الوقت الذي كان ينبغي أن يتلقوا فيه الجزاء والشكران...!
والصحابي الجليل «أبو هريرة» واحد من هؤلاء..
فلقد كان ذا موهبة خارقة في سعة الذاكرة وقوتها..
كان رضى الله عنه - يُجيد فنَّ الإصغاء؛ وكانت ذاكرته تجيد
فن الحفظ والاختزان..
يسمع، فيعي، فيحفظ، ثم لا يكاد ينسى مما وعى كلمة
ولا حرفاً مهما تطاولَ العمر، وتعاقت الأيام...!!

من أجل هذا هيأته موهبته ليكون أكثر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم حفظاً لأحاديثه، وبالتالي أكثرهم رواية لها..

فلما جاء عصر الوضّاعين الذين تخصصوا في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتخذوا أبا هريرة غرضاً، مستغلين أسوأ استغلال سمعته العريضة في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وراحوا كلها لَفَقُوا حديثاً يقولون: قال أبو هريرة..!!

وكادوا بفعلهم هذا يضعون سمعة أبي هريرة ومكانته كمحدث عن النبي عليه الصلاة والسلام موضع الارتياب والتساؤل، لولا تلك الجهود البارة والمخارقة التي بذلها أبرار كبار نذروا حياتهم وكرّسوها لخدمة الحديث النبوي ونفى كل زيف ودخيل عنه..

هنالك نجا «أبو هريرة» رضى الله عنه من أخطبوط الأكاذيب والتلفيقات التي أراد المفسدون أن يتسللوا بها إلى الإسلام عن طريقه وأن يُحمَلُوهُ وِزْرَهَا وأذاها..!!

والآن .. عندما تسمع واعظاً، أو مُحاضرًا، أو خطيب جمعة يقول تلك العبارة المأثورة: «عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم...»..

أقول: عندما تسمع هذا الاسم على هذه الصورة، أو عندما تلقاه كثيراً، وكثيراً جداً في كتب الحديث، والسيرة، والفقه، والدين بصفة عامة، فاعلم أنك تلقى شخصية من أكثر شخصيات الصحابة إغراء بالصحبة والإصغاء..

ذلك أن ثروته من الأحاديث الرائعة، والتوجيهات الحكيمة التي حفظها عن النبي عليه الصلاة والسلام، قل أن يوجد لها نظير.. وإنه - رضى الله عنه - بما يملك من هذه الموهبة، وهذه الثروة، لمن أكثر الأصحاب مقدرة على نقلك إلى تلك الأيام التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم، وإلى التحليق بك - إذا كنت وثيق الإيمان مُرْهَف النفس - في تلك الآفاق التي شهدت روائع محمد وأصحابه.. تعطى الحياة معناها، وتَهْدِي إليها رُشدَها ونهاها..

وإذا كانت هذه السطور قد حركت أشواقك لأن تتعرف لأبي هريرة وتسمع من أنبائه نبأ، فدُونك اذن وما تريد.. إنه واحدٌ من الذين تنعكسُ عليهم ثورة الإسلام بكل ما أحدثته من تغييرات هائلة.. فمن أجير إلى سيّد..

ومن تائه في الزحام، إلى عَلم وإمام..!!
ومن ساجد أمام حجارة مركومة، إلى مؤمن بالله الواحد
القهار..

وهاهو ذا يتحدث ويقول:
[نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً.. وكنتُ أجيئاً لبُسرَة
بنت غزوان بطعام بطني..!!
«كنتُ أخدمهم إذا نزلوا، وأَحْدُو لهم إذا ركبوا..
«وهأنذا وقد زوّجنيها الله، فالحمد لله الذي جعل
الدين قَوَّامًا، وجعل أبا هريرة إمامًا]..!!

قدم على النبي عليه الصلاة والسلام سنة سبع وهو بخير ،
فأسلم راغبًا مشتاقًا..

ومنذ رأى النبي عليه الصلاة والسلام وبايعه لم يكد يفارقه
أبدًا إلا في ساعات النوم..

وهكذا كانت السنوات الأربع التي عاشها مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم منذ أسلم إلى أن ذهب النبي إلى الرفيق الأعلى..

نقول: كانت تلك السنوات الأربع عُمرًا وحدها.. كانت طويلة عريضة، ممتلئة بكل صالح من القول، والعمل، والإصغاء.

* * *

أدرك «أبو هريرة» بفطرته السيدة الدور الكبير الذي يستطيع أن يخدم به دين الله..

إن أبطال الحرب في الصحابة كثيرون..

والفقهاء والدعاة والمعلمون كثيرون..

ولكن البيئة والجماعة تفتقد الكتابة والكتاب..

ففى تلك العصور، كانت الجماعة الإنسانية كلها، لا العرب وحدهم، لا يهتمون بالكتابة، ولم تكن الكتابة من علامات التقدم فى مجتمع مّا..

بل إن «أوربا» نفسها كانت كذلك منذ عهد غير بعيد..

وكان أكثر ملوكها وعلى رأسهم «شارلمان» أميين لا يقرأون ولا يكتبون، مع أنهم فى نفس الوقت كانوا على حظ كبير من الذكاء، والمقدرة..

* * *

نعود إلى حديثنا لنرى «أبا هريرة» يدرك بفطرته حاجة المجتمع الجديد الذى يبنيه الإسلام إلى من يحفظون تراثه وتعاليمه - كان هناك يومئذ من الصحابة كُتَّاب يكتبون ولكنهم قليلون، ثم إن بعضهم لا يملك من الفراغ ما يمكنه من تسجيل كل ما ينطق به الرسول من حديث..

لم يكن «أبو هريرة» كاتبًا، ولكنه كان حافظًا وكان يملك هذا الفراغ، أو هذا التفرُّغ المنشود، فليس له أرض يزرعها ولا تجارة يتبعها..

وهو إذ رأى نفسه وقد أسلم متأخرًا، عزم على أن يعوض ما فاتته، وذلك بأن يواظب على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى مجالسته..

ثم إنه يعرف من نفسه هذه الموهبة التى أنعم الله بها عليه، وهى ذاكرته الرحبة القوية، والتى زادت مضاء ورحابة وقوة، بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لصاحبها أن يبارك الله له فيها..

فلماذا إذن لا يكون واحدًا من الذين يأخذون على عاتقهم حفظ هذا التراث ونقله للأجيال..؟؟

أَجَلٌ.. هذا دوره الذى تهيئه للقيام به مواهبه، وعليه أن يقوم به فى غير تَوَانٍ..

لم يكن «أبو هريرة» ممن يكتبون، ولكنه كان كما ذكرنا سريع الحفظ قوى الذاكرة..

ولم تكن له أرض يزرعها، ولا تجارة تشغله، ومن ثم لم يكن يفارق الرسول فى سَفَرٍ ولا فى حَضَرٍ..

وهكذا راح يكرُس نفسه ودقة ذاكرته لحفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته..

فلم انتقل النبى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، راح أبو هريرة يحدث، ومُحَدِّث، مما جعل أصحابه يعجبون: أُنَى له كل هذه الأحاديث، ومتى سمعها ووعاها..

ولقد ألقى «أبو هريرة» رضى الله عنه الضوء على هذه الظاهرة، وكأنه يدفع عن نفسه مغبة تلك الشكوك التى ساورت بعض أصحابه فقال:

[إنكم لتقولون أكثرَ أبو هريرة فى حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم..

«وتقولون: إن المهاجرين الذين سبقوه إلى الإسلام لا يحدثون هذه الأحاديث...؟؟»

«ألا إن أصحابي من المهاجرين، كانت تشغلهم صفقاتهم بالسوق، وإن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضهم..»

«وإني كنت امرءاً مسكيناً، أكثر مجالسة رسول الله، فأحضر إذا غابوا.. وأحفظ إذا نُسوا..»

«وإن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يوماً فقال: من يبسط رداءه حتى يفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه فلا ينسى شيئاً كان قد سمعه مني..! فبسطت ثوبي فحدثني ثم ضممته إلى فؤاذه ما كنت نسيْتُ شيئاً سمعته منه.

«وأيُّم الله، لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبداً، هي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ، أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾..»

هكذا يفسر «أبو هريرة» سرَّ تفرده بكثرة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم..

فهو - أولاً - كان متفرغاً لصحبة النبي أكثر من غيره..
وهو - ثانياً - كان يحمل ذاكرة قوية، باركها الرسول فزادت
قوة...

وهو - ثالثاً - لا يُحدِّث رغبة في أن يتحدث، بل لأن إقضاء
هذه الأحاديث مسئولية دينه وحياته، وإلا كان كاتماً للخير
وللحق، وكان مفرطاً ينتظره جزاء المفرطين..

من أجل هذا راح يُحدِّث ويُحدِّث، لا يصدُّه عن الحديث صاّد،
ولا يعتاقه عائق.. حتى قال له عمر يوماً وهو أمير للمؤمنين:
[لتركنَّ الحديث عن رسول الله، أو لألحقنَّك بأرض
دوس]..

أى أرض قومه وأهله..

على أن هذا النهي من أمير المؤمنين لا يُشكل اتهاماً
«لأبي هريرة»، بل هو دعم لنظرية كان «عمر» يتبنّاها ويؤكدّها،
تلك هى: أن على المسلمين في تلك الفترة بالذات ألا يقرأوا، وألا
يحفظوا، شيئاً سوى القرآن حتى يقرّ ويثبت في الأفئدة،
والعقول..

فالقرآن كتاب الإسلام، ودستوره، وقاموسه، وكثرة الحديث

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لاسيما في تلك السنوات التي أعقبت وفاته صلى الله عليه وسلم، والتي يُجمع القرآن خلالها قد تسبب بلبلة لا داعي لها ولا جدوى منها..

من أجل هذا كان «عمر» يقول:

[اشتغلوا بالقرآن، فإن القرآن كلام الله]..

ويقول:

[أَقْلُوا الرواية عن رسول الله إلا فيما يعمل به]..
[إنك تأتي قوماً لهم في مساجدهم دوىٌّ بالقرآن كدوى النحل، فدعهم على ما هم عليه، ولا تشغلهم بالأحاديث، وأناشريكك في ذلك]..

كان القرآن قد جمع بطريقة مضمونة دون أن يتسرب إليه ما ليس منه..

أما الأحاديث فليس يضمن «عمر» أن تحرف أو تزيف، أو تتخذ سبيلاً للكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنيل من الإسلام..

وكان «أبو هريرة» يقدر وجهة نظر «عمر» ولكنه أيضاً كان

واثقاً من نفسه ومن أمانته، وكان لا يريد أن يكتف من الحديث
والعلم ما يعتقد أن كتمانته إثمٌ وبوار..

وهكذا.. لم يجد فرصة لإفراغ ما فى صدره من حديث سمعه
ووعاه إلا حدث وقال..

على أن هناك سبباً هاماً، كان له دور كبير فى إثارة المتاعب
حول «أبى هريرة» لكثرة تحدّثه وحديثه..

ذلك أنه كان هناك يومئذ محدّث آخر يحدث عن الرسول صلى
الله عليه وسلم ويكثر ويُسرف، ولم يكن المسلمون الأصحاب
يطمئنون كثيراً لأحاديثه، ذلكم هو «كعب الأحبار» الذى كان
يهودياً وأسلم..

أراد «مروان بن الحكم» يوماً أن يبلو مقدرة «أبى هريرة»
على الحفظ، فدعاه إليه وأجلسه معه، وطلب منه أن يحدثه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم، بينما أجلس كاتبه وراء حجاب،
وأمره أن يكتب كل ما يقوله «أبو هريرة»..

وبعد مرور عام، دعاه «مروان» مرة أخرى، وأخذ يستقرئه

نفس الأحاديث التي كان كاتبه قد سطرها، فما نسي
«أبو هريرة» كلمة منها!!

وكان يقول عن نفسه:

«ما من أحد من أصحاب رسول الله أكثر حديثاً عنه
منى، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص،
فإنه كان يكتب، ولا أكتب»..

وقال عنه الإمام الشافعي رضى الله عنه:

«أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره»..

وقال البخارى رضى الله عنه:

«روى عن أبي هريرة نحواً من ثمانمائة أو أكثر من
الصحابة والتابعين وأهل العلم»..

وهكذا كان «أبو هريرة» مدرسة كبيرة كُتب لها البقاء
والخلود..

وكان «أبو هريرة» رضى الله عنه من العابدين الأوَّابين،
يتناوب مع زوجته وابنته قيام الليل كله.. فيقوم هو ثلثه، وتقوم

زوجته ثلثه، وتقوم ابنته ثلثه..

وهكذا، لا تمر من الليل ساعة إلا وفي بيت «أبي هريرة»
عبادة وذكُرٌ وصلاة!!

وفي سبيل أن يتفرغ لصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم
عانى من قسوة الجوع ما لم يُعانِ مثله أحد..

وإنه ليحدثنا: كيف كان الجوع يعض أمعاءه فيشدُّ على بطنه
حجراً ويعتصر كبده بيديه، ويسقط في المسجد وهو يتَلَوَّى حتى
يظن بعض أصحابه أن به صَرَعا، وما هو بمصروع..!

ولما أسلم لم يكن يؤوده ويضنيه من مشاكل حياته سوى
مشكلة واحدة لم يرقَّأ له بسببها جفن..

كانت هذه المشكلة هي أمه: فإنها يومئذ رفضت أن تسلم..

ليس ذلك فحسب، بل كانت تؤذى ابنها في رسول الله فتذكره

بسوء..

وذات يوم أسمعت «أبا هريرة» في رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما يكره، فانفضَّ عنها باكياً محزوناً، وذهب إلى مسجد
الرسول..

ولنُصغ إليه وهو يروى لنا بقية النبأ:

«... فجئت إلى رسول الله وأنا أبكى، فقلت: يا رسول الله، كنت أدعو أم أبي هريرة إلى الإسلام فتأبى عليّ، وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة إلى الإسلام..»

«فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اهد أم أبي هريرة..»

«فخرجت أعدو أبشّرها بدعاء رسول الله، فلما أتيت الباب إذا هو مُجَاف - أي مغلق - وسمعت خَضْخَضَةَ الماء، ونادتنى: يا أبا هريرة مكانك..»

«ثم لبست دِرْعَهَا، وعجلت عن خمارها وخرجت وهي تقول: أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..»

«فجئت أسعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكى من الفرح، كما بكيت من الحزن، وقلت: أبشّر يا رسول الله، فقد أجاب الله دعوتك..»

«قد هدى الله أم أبي هريرة إلى الإسلام..»

«ثم قلت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجيبنى وأمى إلى

المؤمنين والمؤمنات..

«فقال: اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدُكَ هَذَا وَأَمَّهُ إِلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ

وَمُؤْمِنَةٍ»..

وعاش «أبو هريرة» عابداً، ومجاهداً.. لا يتخلف عن غزوة،

ولا عن طاعة..

وفي خلافة «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه وَلَاهُ إمارة

البحرين..

و«عمر» كما نعلم كان شديد المحاسبة لولاته..

إذا وَلَّى أحدهم وهو يملك ثوبين، فيجب أن يترك الولاية يوم

يتركها وهو لا يملك من دنياه سوى ثوبيه.. ويكون من الأفضل

أن يتركها وله ثوب واحد..!!

أما إذا خرج من الولاية وقد ظهرت عليه أعراض ثراء، فإنه

أَتَنَذُ لا يَفْلِتُ من حساب «عمر» مهما يكن مصدر ثرائه حلالاً

ومشروعاً..!!

دنياه أخرى.. ملأها «عمر» روعة وإعجازاً..!!

وحين وَلَّى «أبو هريرة» البحرين أدَّخَرَ مالا، من مصادره

الحلال، وعلم «عمر» فدعاه إلى المدينة..

ولندع «أبو هريرة» يروى ما جرى بينهما من حوار سريع:

«قال لى عمر:

يا عدو الله، وعدو كتابه، أَسْرَقْتَ مال الله..؟؟

«قلتُ:

ما أنا بعدو لله ولا عدو لكتابه.. لكنى عدو من

عاداهما.. ولا أنا من يسرق مال الله..!!

«قال:

فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف..؟؟

«قلتُ:

خيل لى تناسلت، وعطايا تلاحقت..

«قال عمر: فادفعها إلى بيت مال المسلمين»..!!

ودفع «أبو هريرة» المال إلى «عمر» ثم رفع يديه إلى السماء

وقال:

«اللهم اغفر لأمر المؤمنين»..

وبعد حين دعا عمر أبا هريرة، وعرض عليه الولاية من

جديد، فأبأها واعتذر عنها..

قال له عمر: ولماذا...؟؟

قال أبو هريرة:

حتى لا يَشْتَمَ عَرَضِي، وَيُوْخَذَ مَالِي، وَيُضْرَبَ ظَهْرِي...

ثم قال:

وأخاف أن أقضى بغير علم..

وأقول بغير حِلْم..

وذات يوم، اشتد شوقه إلى لقاء الله..

وبينما كان عُوَّاده يدعون له بالشفاء من مرضه، كان هو يُلْحَقُ
على الله قائلاً:

«الله إني أحب لقاءك، فأحِبُّ لقائي»..

وعن ثمانى وسبعين سنة مات فى العام التاسع
والخمسين للهجرة..

وبين ساكنى البقيع الأبرار تبوأ جثمانه الوديع
مكاناً مباركاً..

وبينما كان مشيعوه عائدين من جنازته، كانت

أُسنّتهم ترتل الكثير من الأحاديث التي حفظها لهم
عن - رسولهم الكريم..

ولعل واحداً من المسلمين الجدد كان يميل على
صاحبه ويسأله:

- لماذا كُنّي شيخنا الراحل بأبي هريرة..!!

فيجيبه صاحبه وهو بالأمر خير:

- لقد كان اسمه في الجاهلية «عبد شمس»، ولما
أسلم سماه الرسول «عبد الرحمن».. ولقد كان
عطوفاً على الحيوان، وكانت له هرة، يطعمها، ويحملها،
وينظفها، ويؤويها.. وكانت تلازمه كظله..

وهكذا دُعي: أبا هريرة، رضى الله عنه وأرضاه..

البراء بن مالك الله، والجنة

هو ثاني أخوين عاشا في الله، وأعطيا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدًا نما وأزهر مع الأيام. أما أولهما فهو «أنس بن مالك» خادم رسول الله عليه السلام. أخذته أمه «أم سليم» إلى الرسول وعمره يوم ذاك عشر سنين وقالت:

«يا رسول الله..

•

هذا أنس غلامك يخدمك، فادع الله له..
فقبله الرسول بين عينيه ودعا له دعوة ظلّت تحدو عمره الطويل نحو الخير والبركة..

دعا له الرسول فقال:

«اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له، وأدخله الجنة»...

فعاش تسعاً وتسعين سنة، ورزق من البنين والحفدة كثيرين،
كما أعطاه الله فيما أعطاه من رزق، بستاناً رَحْباً ممرِّعاً، كان يحمل
الفاكهة في العام مرتين...!!

وثانى الأخوين، هو البراء بن مالك»...

عاش حياته العظيمة المقدمة، وشِعْرُهُ:

«الله، والجنة»..

ومن كان يراه، وهو يقاتل في سبيل الله، كان يرى عَجَباً
يفوق العَجَب..

فلم يكن البراء حين يجاهد المشركين بسيفه ممن يبحثون عن
النصر، وإن يكن النصر آنئذ أجل غاية.. إنما كان يبحث عن
الشهادة..

كانت كل أمانيه، أن يموت شهيداً، ويقضى نحبه فوق أرض
معركة مجيدة من معارك الحق والإسلام..

من أجل هذا، لم يتخلف عن مشهد ولا غزوة..
وذات يوم ذهب إخوانه يعودونه، فقرأ وجوههم ثم قال:
«لعلكم ترهبون أن أموت على فراشى..

«لا والله، لن يحرمنى ربى الشهادة»...!!

ولقد صدق الله ظنه فيه، فلم يمت «البراء» على فراشه، بل
مات شهيداً فى معركة من أروع معارك الإسلام...!!

ولقد كانت بطولة «البراء» يوم اليمامة خليفةً به.. خليفةً
بالبطل الذى كان عمر بن الخطاب يوصى ألا يكون قائداً أبداً،
لأن جسارته وإقدامه، وبحته عن الموت.. كل هذا يجعل قيادته
لغيره من المقاتلين مخاطرة تشبه الهلاك...!!

وقف البراء «يوم اليمامة» وجيوش الإسلام تحت إمرة
«خالد» تتهياً للنزال، وقف يتلمظ مستبظاً تلك اللحظات التى تمرُّ
كأنها السنين، قبل أن يصدر القائد أمره بالزحف..

وعيناه الثاقبتان تتحركان فى سرعة ونفاذ فوق أرض المعركة
كلها، كأنها تبحثان عن أصلح مكان لمصرع البطل...!!
أجل، فما كان يشغله فى دنياه كلها غير هذه الغاية..

حصادٌ كثير يتساقط من المشركين دعاة الظلام والباطل بحدِّ
سيفه الماحق...

ثم ضربةٌ تُؤَاتيه في نهاية المعركة من يدٍ مشرّكة، يميل على
أثرها جسده إلى الأرض، على حين تأخذ روحه طريقها إلى الملأ
الأعلى في عُرْس الشهداء، وأعياد المباركين...!!

ونادى «خالد»: الله أكبر، فانطلقت الصفوف المرصوفة إلى
مقاديرها، وانطلق معها عاشق الموت «البراء بن مالك»..

وراح يُجَنِّدُ أتباع الكذاب مسيلمة بسيفه، وهم يتساقطون
كأوراق الخريف تحت وميض بأسِه...

لم يكن جيش «مسيلمة» هزيلا، ولا قليلا... بل كان أخطر
جيوش الردة جميعاً..

وكان بأعداده، وبِعَتَادِه، وبأَسْتِمَاتِه مقاتليه، خطراً يفوق كل
خطر...

ولقد أجابوا على هجوم المسلمين بمقاومة تناهت في العُنف حتى
كادوا يأخذون زمام المبادرة وتتحول مقاومتهم إلى هجوم..
هناك سَرَى في صفوف المسلمين شيء من الجزع، وانطلق

زعماءهم وخطباؤهم يلتقون من فوق صهوات جيادهم كلمات
التثبيت، ويذكرون بوعد الله..

وكان «البراء بن مالك» جميل الصوت عاليه..

وناداه القائد «خالد» تكلم يا براء..

فصاح البراء بكلمات تناهت في الجزالة، والدلالة، والقوة.

تلك هي:

«يا أهل المدينة..

«لا مدينة لكم اليوم..

«إنما هو الله، والجنة»..

كلمات تدلُّ على روح قائلها وتنبئُ بخصاله.

أجل..

إنما هو الله، والجنة!!

وفي هذا الموطن، لا ينبغي أن تدور الخواطر حول شيء

آخر..

حتى المدينة، عاصمة الإسلام، والبلد الذي خلفوا فيه ديارهم
ونساءهم وأولادهم، لا ينبغي أن يفكروا فيها، لأنهم إذا هُزموا

اليوم، فلن تكون هناك مدينة..

وسرت كلمات «البراء» مثل.. مثل ماذا...؟

إن أى تشبيه سيكون ظلماً لحقيقة أثرها وتأثيرها..

فلنقل: سرت كلمات «البراء» وكفى..

ومضى وقت وجيز عادت بعده المعركة إلى نهجها الأول..

المسلمون يتقدمون، يسبقهم نصر موزر..

والمشركون يتساقطون في حضيض هزيمة مُنكرة..

و«البراء» هناك مع إخوانه يسرون براية محمد صلى الله عليه وسلم إلى مواعدها العظيم..

واندفع المشركون إلى وراء هارين، واحتموا بحديقة كبيرة دخلوها ولاذوا بها...

وبردت المعركة في دماء المسلمين، وبدأ أن في الإمكان تغيير مصيرها بهذه الحيلة التى لجأ إليها أتباع مسيلمة وجيشه..

وهنا علا «البراء» ربوة عالية وصاح:

«يا معشر المسلمين..

«احملوني، وألقوني عليهم فى الحديقة»..

ألم أَقُلْ لَكُمْ، إنه لا يبحث عن النصر بل عن الشهادة..!!
ولقد تصوّر في الخُطّة خير ختام لحياته، وخير صورة لماته..!!
فهو حين يُقذَف به إلى الحديقة، يفتح للمسلمين بابها، وفي
نفس الوقت تنوشه سيوف المشركين وتمزق جسده، وفي نفس
الوقت كذلك تكون أبواب الجنة تأخذ زينتها وتفتح لاستقبال
عريس جديد، ومجيد..!!

* * *

ولم ينتظر «البراء» أن يحمله قومه ويقذفوا به، فاعتلى هو
الجدار، وألقى بنفسه داخل الحديقة وفتح الباب، واقتحمته
جيوش الإسلام..

ولكنَّ حُلُم «البراء» لم يتحقق، فلا سيوف المشركين اغتالته،
ولا هو لقي المصراع الذي كان يُعنى به نفسه..

وصدق أبو بكر رضى الله عنه:

«أحرص على الموت..»

توهّب لك الحياة»..!!

صحيح أن جسد البطل تلقى يومئذ من سيوف المشركين بضعا
وثمانين ضربة، أثخنه بيضع وثمانين جراحة؛ حتى لقد ظل بعد

المعركة شهراً كاملاً، يشرف «خالد بن الوليد» بنفسه على تربيضه..

ولكن كل هذا الذى أصابه كان دون غايته وما يتمنى..
بيد أن ذلك لا يحمل «البراء» على اليأس.. فغداً تجيء معركة، ومعركة، ومعركة..

ولقد تنبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه مستجاب الدعوة.. فليس عليه إلا أن يدعو ربه دائماً أن يرزقه الشهادة، ثم عليه ألا يعجل، فلكل أجل كتاب..!!

ويبرأ «البراء» من جراحات يوم اليمامة..

وينطلق مع جيوش الإسلام التى ذهبت تُشيع قُوى الظلام إلى مصارعها.. هناك حيث تقوم إمبراطوريتان خريعتان فانيتان، الروم والفرس، تحتلان بجيوشهما الباغية بلاد الله، وتستعبدان عباده..

ويضرب «البراء» بسيفه، ومكان كل ضربة يقوم جدار شاهق فى بناء العالم الجديد الذى ينمو تحت راية الإسلام نمواً سريعاً كالنهار والمشرق..



وفى إحدى حروب العراق لجأ الفرس فى قتالهم إلى كل وحشية دنيئة يستطيعونها..

فاستعملوا كلاليب مثبتة فى أطراف سلاسل مُحماةٍ بالنار، يلقونها من حصونهم، فتخطف مَنْ تنالُه من المسلمين الذين لا يستطيعون منها فكاكًا.

وكان «البراء» وأخوه العظيم «أنس بن مالك» قد وكل إليهما مع جماعة من المسلمين أمر واحد من تلك الحصون..

ولكن أحد هذه الكلاليب سقط فجأة، فتعلق بـ«أنس» ولم يستطيع أنس أن يمسَّ السلسلة ليخلص نفسه، إذ كانت تتوهج لهبًا ونارًا...

وأبصر «البراء» المشهد.. فأسرع نحو أخيه الذى كانت السلسلة المحماة تصعد به على سطح جدار الحصن.. وقبض على السلسلة بيديه وراح يعالجها فى بأس شديد حتى قصمها وقطعها.. ونجا «أنس» وألقى البراء ومَنْ معه نظرة على كفيه فلم يجدوهما مكانهما..!!

لقد ذهب كل ما فيهما من لحم، وبقي هيكلهما العظمى مُسمَّرًا مُحترقًا..!!

وقضى «البطل» فترة أخرى في علاج بطيء حتى برىء..

أما آن لعاشق الموت أن يبلغ غايته...؟؟

بلى - آن..!!

وها هى ذى موقعة «تُسْتَر» تحيى ليلاقى المسلمون فيها
جيوش فارس، ولتكون لـ «البراء» عيداً أى عيد..

احتشد أهل الأهواز، والفرس فى جيش كثيف ليناجزوا
المسلمين..

وكتب أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» إلى «سعد بن
أبى وقاص» بالكوفة ليرسل إلى «الأهواز» جيشاً..

وكتب إلى «أبى موسى الأشعرى» بالبصرة ليرسل إلى
«الأهواز» جيشاً، قائلاً له فى رسالته:

«اجعل أمير الجند سهيل بن عدى..
وليكن معه البراء بن مالك»...

والتقى القادمون من الكوفة بالقادمين من البصرة ليواجهوا

جيش الأهواز وجيش الفرس في معركة ضارية..
كان الأخوان العظيمان بين الجنود المؤمنين.. أنس بن مالك،
والبراء بن مالك..

وبدأت الحرب بالمبارزة، فصرع البراء وحده مائة مُبارز من
الفرس..

ثم التحمت الجيوش، وراح القتلى يتساقطون من الفريقين
كليهما في كثرة كاثرة..

واقترب بعض الصحابة من البراء، والقتال دائر، ونادوه
قائلين:

«أتذكر يا براء قول الرسول عنك:
«رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ
عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، مِنْهُمْ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ..؟
«يا براء، أقسم على ربك؛ لِيَهْزِمَهُمْ وَيَنْصِرَنَا»..

ورفع «البراء» ذراعيه إلى السماء ضارِعًا داعيًا:

«اللهم اْمْنَحْنَا اَكْتَفَاهُمْ...»

«اللهم اهْزِمْهُمْ...»

«وانصرنا عليهم...

«وَالْحَقُّنِي الْيَوْمَ بِنَبِيِّكَ»...

وَأَلْقَى عَلَى أَخِيهِ «أَنْسَ» الَّذِي كَانَ يِقَاتِلُ قَرِيبًا مِنْهُ.. نَظْرَةً طَوِيلَةً، كَأَنَّهُ يُودِّعُهُ..

وَانْقَذَفَ الْمُسْلِمُونَ فِي اسْتِبْسَالٍ لَمْ تَأْلَفْهُ الدُّنْيَا مِنْ سِوَاهُمْ..
وَنُصِرُوا نَصْرًا مُبِينًا..

وَوَسَطَ شُهَدَاءُ الْمَعْرَكَةِ، كَانَ هُنَاكَ الْبَرَاءُ تَعْلُو وَجْهَهُ ابْتِسَامَةً هَائِلَةً كُضُوءُ الْفَجْرِ.. وَتَقَبَّضُ يُمْنَاهُ عَلَى حَشِيَّةٍ مِنْ تُرَابٍ مُضْمَخَةٍ بِدَمِهِ الطُّهُورِ..

وَسَيْفُهُ مُمَدَّدٌ إِلَى جَوَارِهِ.. قَوِيًّا غَيْرَ مَثْلُومٍ، سَوِيًّا غَيْرَ مَكْلُومٍ..
لَقَدْ بَلَغَ الْمَسَافِرُ دَارَهُ..

وَأَنْهَى مَعَ إِخْوَانِهِ الشُّهَدَاءَ رَحْلَةَ عُمْرٍ جَلِيلٍ وَعَظِيمٍ، وَنُودُوا:
﴿أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ، أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾..

عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ غَدًا، تَرَوْنَ الْأُمْرَاءَ مِنْ بَعْدِي

من بين المسلمين السابقين، والمهاجرين الأولين إلى الحبشة،
فالمدينة...

ومن بين الرُّمَّة الأَفْذاذ الذين أبلَّوْا في سبيل الله بلاءً حسنًا،
هذا الرجل الفارع الطول، المشرق الوجه، المُخَيِّت القلب
«عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ»..



كان سابعَ سبعة سبَقوا إلى الإسلام، وبسطوا أيمانهم إلى يمين
رسول الله صلى الله عليه وسلم، مبايعين ومُتَحَدِّين قريشًا بكل
ما معها من بأس وقدر على الانتقام...

وفي الأيام الأولى للدعوة.. أيام العُسرة والهول، صمد «عتبة
ابن غزوان» مع إخوانه ذلك الصمود الجليل الذي صار فيما بعد
زاداً للضمير الإنساني يغتذى به وينمو على مرّ الأزمان..

ولما أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام أصحابه بالهجرة إلى
الحبيشة، خرج عتبة مع المهاجرين..

بيد أن شوقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم يدعه يستقر
هناك، فسرعان ما طوى البرّ والبحر عائداً إلى مكة؛ حيث لبث
فيها بجوار الرسول حتى جاء ميقات الهجرة إلى المدينة؛ فهاجر
عتبة مع المسلمين...

ومنذ بدأت قريش تحرشاتها فُحروها، وعتبة حامل رماحه
ونباله، يرمى بها في أستاذية خارقة، ويسهم مع إخوانه المؤمنين في
هدم العالم القديم بكل أوثانه وبيئاته..

ولم يضع سلاحه يوم رحل عنهم الرسول الكريم إلى الرفيق
الأعلى، بل ظل يضرب في الأرض، وكان له مع جيوش الفرس
جهاد عظيم..

أرسله أمير المؤمنين «عمر» إلى الأُبلة ليفتحها، وليطهر أرضها

من الفرس الذين كانوا يتخذونها نقطة وثوب خطيرة على قوات
الإسلام الزاحفة عَبْرَ بلاد الامبراطورية الفارسية، تستخلص منها
بلاد الله وعباده..

وقال له «عمر» وهو يُودِّعه وجيشه:

«انطلق أنت ومن معك، حتى تأتوا أقصى بلاد العرب،
وأدنى بلاد العجم..

«وسرَّ عَلَى بركة الله وَمِنْهُ..

«أدْعُ إلى الله من أجابك..

«ومن أبى، فالجزية..

«وإلاَّ فالسيف في غير هوادة..

«كابِدِ العدو، وابتق الله ربك»..

ومضى «عُتْبَة» على رأس جيشه الذى لم يكن كبيراً، حتى قدم
الأبلة..

وكان الفرس يحشدون بها جيشاً من أقوى جيوشهم..
ونظم «عتبة» قواته، ووقف في مقدمتها، حاملاً رُمحه بيده التى

لم يعرف الناس لها زلة منذ عرفت الرَّمى...!!

وصاح في جنده:

«الله أكبر، صدق وَعْده»..

وكأنه كان يقرأ غيباً قريباً، فما هى إلا جولات ميمونة
استسلمت بعدها «الأبلّة» وطهرت أرضها من جنود الفرس،
وتحرر أهلها من طغيان طالما أصلاهم سعيراً.. وصدق الله العظيم
وعده...!!

اختطّ «عتبة» مكان الأبلّة مدينة البصرة، وعَمَرها وبني
مسجدها العظيم..

وأراد أن يغادر البلاد عائداً إلى المدينة، هارباً من الإمارة،
لكن أمير المؤمنين أمره بالبقاء..

ولبت «عتبة» مكانه يُصلى بالناس، ويفقههم في دينهم، ويحكم
بينهم بالعدل، ويضرب لهم - أروع المثل - في الزهد والورع
والبسطة..

ووقف يحارب الترف والسَّرَف بكل قواه حتى ضَجِرَه الذين
كانوا تستهويهم المناعم والشهوات..

هنالك وقف «عتبة» فيهم خطيباً فقال:

«والله، لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
سابع سبعة وما لنا طعامٌ إلا ورق الشجر حتى قرحت
أشداًقنا...»

«ولقد رُزِقْتُ يوماً بُرْدَةً، فشققتها نصفين، أعطيت
نصفها سعد بن مالك، ولبستُ نصفها الآخر»..

كان «عتبة» يخاف الدنيا على دينه أشد الخوف، وكان يخافها
على المسلمين، فراح يحملهم على القناعة والشطف.

وحاول الكثيرون أن يحوّلوه عن نهجه، ويشيروا في نفسه
الشعور بالإمارة، وبما للإمارة من حق، لا سيما في تلك البلاد التي
لم تتعود من قبل أمراء من هذا الطراز المتكشف الزاهد، والتي
تعود أهلها احترام المظاهر المتعالية المزهُوّة.. فكان «عتبة» يجيبهم
قائلاً:

«إني أعوذ بالله أن أكون في دنياكم عظيماً، وعند الله
صغيراً»...!

ولما رأى الضيق على وجوه الناس بسبب صرامته في حملهم

على الجادة والقنطرة قال لهم:

«غداً ترون الأمراء من بعدى»..

وجاء موسم الحج، فاستخلف على البصرة أحد إخوانه وخرج حاجاً. ولما قضى حجه، سافر إلى المدينة، وهناك سأل أمير المؤمنين أن يعفيه من الإمارة..

لكن «عمر لم يكن يُفرط في هذا الطراز الجليل من الزاهدين الهاربين مما يسيل له لعاب البشر جميعاً.

وكان يقول لهم:

«تضعون أماناتكم فوق عنقي»..

ثم تتركوني وحدي..؟؟

لا والله لا أعفيكم أبداً»..!!

وهكذا قال له «عتبة بن غزوان»..

ولما لم يكن في وسع «عتبة» إلا الطاعة، فقد استقبل راحلته ليركبها راجعاً إلى البصرة.

لكنه قبل أن يعلو ظهرها، استقبل القبلة، ورفع كفيه الضارعتين إلى السماء، ودعا ربه - عز وجل - ألا يرُدّه إلى

البصرة، ولا إلى الإمارة أبداً...

واستجيب دعاؤه...

فبينما هو في طريقه إلى ولايته أدركه الموت..

وفاضت روحه إلى بارئها، مغتبطة بما بذلت وأعطت...

وبما زهدت وعَفَّت..

وبما أتم الله عليها من نعمة..

وبما هيأ لها من ثواب...

ثابت بن قيس خطيب رسول الله

كان «حسان» شاعر رسول الله والإسلام...
وكان «ثابت» خطيب رسول الله والإسلام...
كانت الكلمات تخرج من فمه قوية، صادقة، جامعة، رائعة..
وفي عام الوفود، وفَدَّ على المدينة وفدُ «بنى تميم» وقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم:
«جئنا نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا»..
فابتسم الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال لهم:
«قد أذنتُ لخطيبكم، فليقل...»

وقام خطيبهم «عطار بن حاجب» ووقف يزهو بمفاخر قومه..
ولما آذن بانتهاء، قال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت
ابن قيس: قم فأجبه...

ونهض «ثابت» فقال:

«الحمد لله، الذى السماوات والأرض خلقه، قضى
فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شئ قط
إلا من فضله...

«ثم كان من قدرته أن جعلنا أئمة، واصطفى من خير
خلقه رسولا... أكرمهم نسباً، وأصدقهم حديثاً،
وأفضلهم حسباً، فأنزل عليه كتابه، وائتمنه على خلقه،
فكان خيرة الله من العالمين...

«ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فأمن به المهاجرون من
قومه وذوى رحمته.. أكرم الناس أحساباً، وخيرهم
فعالاً...

«ثم كنا - نحن الأنصار - أول الخلق إجابة..
«فنحن أنصار الله، ووزراء رسوله»...



شهد «ثابت» مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة
«أحد» والمشاهد بعدها.

وكانت فِدَائِيَّتُهُ من طراز عجيب.. جد عجيب..!!
في حروب الرِّدَّة، كان في الطليعة دائماً، يحمل راية الأنصار،
ويضرب بسيف لا يَكْبُو، ولا يَنْبُو...

وفي موقعة اليمامة، التي سبق الحديث عنها أكثر من مرة، رأى
«ثابت» وَقَعَ الهجوم الخاطف الذي شَنَّهُ جيش «مسيلمة
الكذاب» على المسلمين أوَّل المعركة، فصاح بصوته النذير
الجهير:

«والله، ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم»...

ثم ذهب غير بعيد، وعاد وقد تحنط، ولبس أكفانه، وصاح مرة
أخرى:

«اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء...

- يعني جيش مسيلمة...

«وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء...

- يعنى تراخى المسلمين فى القتال...»

وانضم إليه «سالم» مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم،
وكان يحمل راية المهاجرين...

وحفر الاثنان لنفسيهما حفرة عميقة ثم نزلا فيها قائمين،
وأهالا الرمال عليهما حتى غطَّت وسط كل منهما...

وهكذا وقفا... طَوْدَيْن شائخين، نصف كل منهما غائص فى
الرمال مُثَبَّت فى أعماق الحفرة.. فى حين نصفها الأعلى -
صدرهما وجبهتهما وذراعاها - يستقبلان جيوش الوثنية
والكذب..

وراحا يضربان بسيفيهما كل من يقترب منها من جيش
مُسيَلمة حتى استشهدا فى مكانها، ومالت شمسُ كل منهما
للغروب..!!

وكان مشهدهما - رضى الله عنها - هذا أعظم صيحة
أسهمت فى ردِّ المسلمين إلى مواقعهم، حيث جعلوا من جيش
«مُسيَلمة الكذاب» ترابًا تطؤه الأقدام..!!

و«ثابت بن قيس»... هذا الذى تفوَّق خطيبًا، وتفوَّق محاربًا

كان يحمل نفساً أوّابة، وقلباً خاشعاً مُخْبِتاً، وكان من أكثر المسلمين
وَجَلًّا من الله، وحياء منه...

لما نزلت الآية الكريمة:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ..

أغلق «ثابت» باب داره، وجلس يبكي... وطال مُكُثُّه على
هذه الحال، حتى غمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره،
فدعاه وسأله.

فقال ثابت:

«يا رسول الله، إني أحب الثوب الجميل، والنَّعْلَ
الجميل، وقد خشيت أن أكون بهذا من المختالين...»
فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضحك راضياً:

«إنك لست منهم...»

بل تعيش بخير...

وتموت بخير...

وتدخل الجنة...»

ولما نزل قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ
النَّبِيِّ.. وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ، أَنْ
تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾..

أغلق «ثابت» عليه داره، وطفق يبكي..

وافتقده الرسول فسأل عنه، ثم أرسل من يدعوه..

وجاء «ثابت»..

وسأله الرسول عن سبب غيابه، فأجابه:

«إني امرؤٌ جهير الصوت..

وقد كنتُ أرفع صوتي فوق صوتك يا رسول الله..

وإذن فقد حبط عملي، وأنا من أهل النار»..!!

وأجابه الرسول عليه الصلاة والسلام:

«إنك لست منهم..

بل تعيش حميداً..

وتقتل شهيداً..

ويدخلك الله الجنة»..

بقى في قصة «ثابت» واقعة، قد لا يستريح إليها أولئك الذين
حصرُوا تفكيرهم وشعورهم ورؤاهم داخل عالمهم المادي الضيق
الذي يلمسونه، أو يبصرونه، أو يَشْمُونه..!!

ومع هذا، فالواقعة صحيحة، وتفسيرها مُبين وميسر لكل مَنْ
يستخدم مع البصر، البصيرة..

بعد أن استشهد «ثابت» في المعركة، مرَّ به واحد من المسلمين
الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام ورأى على جثمان «ثابت»
درعه الثمينة، فظن أن من حقه أن يأخذها لنفسه، فأخذها..

ولندع راوى الواقعة يرويها بنفسه:

«... وبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت في منامه،
فقال له:

إني أوصيك بوصية، فيأياك أن تقول: هذا حُلْمٌ
فتضيعه..

«إني لما استشهدتُ بالأمس، مرَّ بي رجل من
المسلمين، فأخذ درعى..

«وإن منزله في أقصى الناس، وفرسه يَسْتَنُّ في طولِه،
أى - في لجامِه وشكيمته.

«وقد كَفَأَ على الدرع بُرْمَةً، وفوق البرمة رَحْلٌ...»

«فَأَتِ خَالِدًا، فمره أَنْ يبعث فيأخذها..»

«فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله أبى بكر،
فقل له: إن على من الدين كذا كذا..»

فَلْيَقُمْ بسداده...

«فلما استيقظ الرجل من نومه، أتى خالد بن الوليد،
فقصَّ عليه رؤياه..»

«فأرسل خالد من يأتى بالدرع، فوجدها كما وصف
ثابت تمامًا..»

«ولما رجع المسلمون إلى المدينة، قصَّ المسلم على
الخليفة الرؤيا، فأنجز وصية ثابت..»

«وليس في الإسلام وصية مَيِّتٌ أنجزت بعد موته على
هذا النحو، سوى وصية ثابت بن قيس...»

* * *

حقاً إن الإنسان لَسِرٌّ كَبِيرٌ..

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا... بَلْ
أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾..

أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بَطْلُ يَوْمِ السَّقِيفَةِ

ورث المكارم، كابرًا عن كابر..
فأبوه «حُضَيْرُ الكَتَائِبِ» كان زعيم الأوس، وكان واحدًا من
كبار أشراف العرب في الجاهلية، ومقاتليهم الأشداء..
وفيه يقول الشاعر:

لَوْ أَنَّ الْمَنَایَا، حِذْنَ عَنْ ذِي مَهَابَةٍ لَهَبْنَ «حُضَيْرًا» يَوْمَ غَلَقَ وَاقِمَا
يَطُوفُ بِهِ، حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ جَنَّهُ تَبَوَّأَ مِنْهُ مَقْعَدًا مُتَنَاعِمَا

ورث «أُسَيْدٌ» عن أبيه مكانته، وشجاعته، وجوده، فكان
قبل أن يسلم، واحدًا من زعماء المدينة وأشراف العرب، ورُماتها
الأفذاذ..

فلما اصطفاه الإسلام، وهَدَى إلى صراط العزيز الحميد، تناهى
عِزَّهُ، وتَسَامَى شَرَفُهُ، يوم أخذ مكانه، واحدًا من أنصارِ الله
وأنصار رسوله، ومن السابقين إلى الإسلام العظيم...

ولقد كان إسلامه يوم أسلم سريعًا، وحاسمًا، وشريفًا...
فعندما أرسل الرسول عليه السلام «مصعب بن عمير» إلى
المدينة ليُعَلِّم ويُفقه المسلمين من الأنصار الذين بايعوا النبي على
الإسلام بيعة العقبة الأولى، وَلِيَدْعُوَ غيرهم إلى دين الله.
يومئذ، جلس أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وسعد بن معاذ، وكانا زعيمَي
قومهما، يتشاوران في أمر هذا الغريب الذي جاء من مكة يُسِفُّه
دينها، ويدعو إلى دين جديد لا يعرفونه...

وقال سعد لأُسَيْدَ: «انطلق إلى هذا الرجل، فازجره»..
وحمل «أُسَيْدُ» حريته، وأغذَّ السَّيْرَ إلى حيث كان «مصعب»
في ضيافة «أسعد بن زُرارة» من زعماء المدينة الذين سبقوا إلى
الإسلام.

وعند مجلس «مصعب» و «أسعد بن زُرارة» رأى «أُسَيْدُ»
جمهرة من الناس تصغى في اهتمام للكلمات الرشيدة التي

يدعوهم بها إلى الله، مصعب بن عمير..

وفاجأهم «أسيد» بغضبه وثورته..

وقال له مصعب:

«هل لك في أن تجلس فتسمع.. فإن رضيت أمرنا

قبِلْتَه، وإن كرهته، كَفَفْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ»..؟؟

كان «أسيد» رجلاً.. وكان مستنير العقل ذكياً القلب حتى
لقبَه أهل المدينة بـ«الكامل».. وهو لَقِبُ كان يحمله أبوه من
قبله..

فلما رأى «مُصعباً» يحتكم به إلى المنطق والعقل، غرس حربته
في الأرض، وقال لمصعب:

- لقد أنصفت، هاتِ ما عندك..

وراح مصعب يقرأ عليه من القرآن، ويُفسِّر له دعوة الدين
الجديد. الدين الحق الذي أمر محمد عليه الصلاة والسلام بتبليغه،
ونشر رأيته.

يقول الذين حضروا هذا المجلس:

«والله، لقد عرفنا في وجه «أسيد» الإسلام قبل أن

يتكلم... عرفناه في إشراقه وتَسَهُّله...!!

لم يكد «مُصعب» ينتهى من حديثه حتى صاح أُسَيْدُ مَبْهُورًا:
«ما أحسن هذا الكلام وأجمله..»

«كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين»؟
قال له مُصْعَبُ:

«تُطَهِّرُ بدنك، وثوبك، وتشهد شهادة الحق، ثم
تُصَلِّي»...

إن شخصية «أُسَيْدُ» شخصية مستقيمة وقوية وناصعة، وهى
إذ تعرف طريقها، لا تتردد لحظة أمام إرادتها الحازمة...

ومن ثَمَّ، قام «أُسَيْدُ» فى غير إرجاء ولا إبطاء لِيَسْتَقْبِلَ الدين
الذى انفتح له قلبه، وأشرقت به روحه، فاغتسل وتطهَّر، ثم سجد
لله رب العالمين، مُعَلِّناً إسلامه، مُودِّعاً أيام وثنيته، وجاهليته..!!
كان على «أُسَيْدُ» أن يعود لسعد بن معاذ، لينقل إليه أخبار
المهمة التى كلفه بها.. مهمة زَجَرَ «مُصْعَبُ بن عمير» وإخراجه..
وعاد إلى سعد...

وما كاد يقترب من مجلسه، حتى قال سعد لمن حوله:
«أقسم، لقد جاءكم «أُسَيْدٌ» بغير الوجه الذى ذهب
به»...!!!

أَجَلُّ..

لقد ذهب بوجه طافح بالمرارة، والغضب، والتحدّى..
وعاد بوجه تغشاه السكينة والرحمة والنور..!!

وقرر «أُسَيْدٌ» أن يستخدم ذكاءه قليلاً..
إنه يعرف أن «سعد بن معاذ» مثله تماماً فى صفاء جوهره،
ومضاء عزمه، وسلامة تفكيره وتقديره...

ويعلم أنه ليس بينه وبين الإسلام سوى أن يسمع ما سمع هو
من كلام الله، الذى يحسن ترتيله وتفسيره سفير الرسول إليهم
«مصعب بن عمير»..

لكنه لو قال لسعد: إني أسلمت، فقم وأسلم، لكانت مُجَابَهً
غير مأمونة العاقبة..

إذن فعليه أن يُثير حَمِيَّةَ «سعد» بطريقة تدفعه إلى مجلس

مُصعب حتى يسمع ويرى..

فكيف السبيل لهذا..؟

* * *

كان «مُصعب» كما ذكرنا من قبل ينزل ضيفاً على أسعد بن زُرارة..

وأُسعد بن زُرارة هو ابن خالة سعد بن معاذ..

هنالك قال أُسيد لسعد:

«لقد حَدَّثْتُ أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن

زُرارة ليقتلوه، وهم يعلمون أنه ابن خالتك»..

وقام سعد، تقوده الحمية والغضب، وأخذ الحربة، وسار مسرعاً

إلى حيث أسعد، ومُصعب، ومن معها من المسلمين..

ولما اقترب من المجلس لم يجد وضوءاً ولا لَغْطاً، وإنما هي

السكينة تغشى جماعة يتوسطهم مصعب بن عمير، يتلو آيات الله

في خشوع، وهم يصغون إليه في اهتمام عظيم..

هنالك أدرك الحيلة التي نسجها له «أُسيد» لكي يحمله على

السعى إلى هذا المجلس، وإلقاء السمع لما يقوله سفير الإسلام

«مصعب بن عمير»..

ولقد صدقت فِرَاسَة «أُسَيْد» في صاحبه، فما كاد سعد يسمع حتى شرح الله صدره للإسلام، وأخذ مكانه في سرعة الضوء بين المؤمنين السابقين..!!

كان «أُسَيْد» يحمل في قلبه وفي عقله إيماناً وثيقاً ومُضِيئاً.. وكان إيمانه يفيء عليه من الأناة والحلم وسلامة التقدير ما يجعله أهلاً للثقة دَوِّماً..

في غزوة «بني المُصْطَلِق» تحرّكت مغايط «عبد الله بن أبي» فقال لمن حوله من أهل المدينة:

«لقد أَحَلَّتْهُمُ بلادكم، وقاسمْتُمُهم أموالكم..
«أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى
غير دياركم..»

«أما والله لئن رَجَعْنَا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعْزُ منها
الأذْلَ...»

سمع الصحابي الجليل «زيد بن أرقم» هذه الكلمات، بل هذه السموم المنافقة المسعورة، فكان حقاً عليه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم...

وتألم رسول الله عليه الصلاة والسلام كثيراً، وقابله أُسيد فقال
له النبي عليه السلام:

- أو ما بلغك ما قال صاحبكم...؟؟

قال أُسيد:

- وأئى صاحب يا رسول الله...؟؟

قال الرسول:

- عبدالله بن أبي!!

قال أُسيد:

- وماذا قال...؟؟

قال الرسول:

- زعم أنه رجع إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ.

قال أُسيد:

- فأنت والله، يا رسول الله، تخرجه منها إن شاء الله.. هو والله

الذليل، وأنت العزيز...

ثم قال أُسيد:

«يا رسول الله، أرفقُ به، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن

قومه لَيَنْظِمُونَ له الخرز لِيَتَوَجَّوه على المدينة مَلِكًا،
فهو يرى أن الإسلام قد سَلَبَهُ مُلْكًا»...

بهذا التفكير الهادئ العميق المتزن الواضح، كان أسيد دائماً
يعالج القضايا ببديهة حاضرة وثاقبة...

وفي يوم السقيفة، إثر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث أعلن فريق من الأنصار، على رأسهم «سعد بن عباد»
أحقيتهم بالخلافة، وطال الحوار، واحتدمت المناقشة، كان موقف
أُسَيد - وهو كما عرفنا زعيم أنصارى كبير - كان موقفه فعالاً في
حسم الموقف، وكانت كلماته كفلق الصبح في تحديد الاتجاه..
وقف «أسيد» فقال مخاطباً فريق الأنصار من قومه:

«تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من
المهاجرين...

«فخليفته إذن ينبغي أن يكون من المهاجرين..

«ولقد كنا أنصار رسول الله..

«وعلينا اليوم أن نكون أنصار خليفته»..

وكانت كلماته بَرْدًا، وسلامًا..

* * *

ولقد عاش «أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ» رضى الله عنه عابداً، قانتاً،
باذلاً روحه وماله فى سبيل الخير، جاعلاً وصية رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم للأَنْصار نصب عينيه:

«اصبروا.. حتى تلقوني على الجَوْصِ»...

ولقد كان لدينه وخلقُه موضع تَكرِيم الصَّدِيقِ وَحُبِّهِ، كذلك
كانت له نفس المكانة والمنزلة فى قلب أمير المؤمنين عمر، وفى
أَفئدة الصحابة جميعاً.

وكان الاستماع لصوته وهو يَرتل القرآن إحدَى المغام
الكبرى التى يحرص الأصحاب عليها..

ذلك الصوت الخاشع الباهر المنير الذى أخبر الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم أن الملائكة دَنَّتْ من صاحبه ذات ليلة لسماعه..

وفى شهر شعبان عام عشرين للهجرة، مات أُسَيْدُ..

وأبى أمير المؤمنين عمر إلا أن يحمل نعشه فوق كَتِفِهِ..

وتحت ثرى البقيع وَارَى الأصحاب جثمان مؤمن عظيم..

وعادوا إلى المدينة وهم يستذكرون مناقبه ويرددون قول
الرسول الكريم عنه:

«نِعَمَ الرَّجُلُ.. أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ»..

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟

ذات يوم، والمدينة ساكنة هادئة، أخذ يقترب من مشارفها نَقْعٌ كثيف، راح يتعالى ويتراكم حتى كاد يغطي الأفق.

ودفعت الريح هذه الأمواج من الغبار الأصفر المتصاعد من رمال الصحراء الناعمة، فاندفعت تقترب من أبواب المدينة، وتهبُّ هبوباً قوياً على مسالكها.

وحسبها الناس عاصفة تكنس الرمال وتذروها، لكنهم سرعان ما سمعوا وراء ستار الغبار ضجة تنبئ عن قافلة كبيرة مديدة.

ولم يمض غير وقت وجيز، حتى كانت سبعمئة راحلة مُوقرة الأحمال تزحم شوارع المدينة وترجُّها رجاً، ونادى الناس بعضهم

بعضاً ليرؤا مشهدها الحافل، وليستبشروا ويفرحوا بما تحمله من
خير ورزق...

* * *

وسألت «أم المؤمنين عائشة» رضى الله عنها، وقد ترامت إلى
سمعها أصداء القافلة الزاحفة..

سألت: ما هذا الذى يحدث فى المدينة...؟؟

وأُجِيبَتْ: إنها قافلة لعبد الرحمن بن عوف جاءت من الشام
تحمّل تجارة له...

قالت أم المؤمنين:

- قافلة تحدث كل هذه الرّجة..!؟

- أجل، يا أم المؤمنين... إنها سبعمائة راحلة..!!

وهزّت «أم المؤمنين» رأسها، وأرسلت نظراتها الثاقبة بعيداً،
كانها تبحث عن ذكرى مشهد رأته، أو حديث سمعته...

ثم قالت:

«أما إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة
حبوا»..

عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا...؟
ولماذا لا يدخلها وثباً وهَرَوَلةً مع السابقين من أصحاب
الرسول..؟

ونقل بعض أصحابه مقالة «عائشة» إليه، فتذكر أنه سمع من
النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث أكثر من مرة، وبأكثر من
صيغة.

وقبل أن تُفَضَّ مغاليق الأحمال من تجارته، حثَّ خطاه إلى
بيت «عائشة» وقال لها: لقد ذكّرَني بحديث لم أنسه...

ثم قال:

«أما إني أشهدك أنَّ هذه القافلة بأحمالها، وأقتابها،
وأحلاسها، في سبيل الله عز وجل»...

ووزعت حُمولة سبعمائة راحلة على أهل المدينة وما حولها في
مهرجانٍ برٍّ عظيم...!!

هذه الواقعة وحدها، تمثل الصورة الكاملة للحياة صاحب
رسول الله «عبد الرحمن بن عوف».

فهو التاجر الناجح، أكثر ما يكون النجاح وأوفاه...

وهو الثرى أكثر ما يكون الثراء وفرة وإفراطاً...

وهو المؤمن الأريب، الذى يأبى أن تذهب حظوظه من الدنيا بحظوظه من الدين، ويرفض أن يتخلف به ثراؤه عن قافلة الإيمان ومثوبة الجنة... فهو - رضى الله عنه - يجود بثروته فى سخاء وعطاء وغبطة ضمير..!!

* * *

متى، وكيف دخل هذا العظيم الإسلام..؟

لقد أسلم فى وقت مبكر جداً..

بل أسلم فى الساعات الأولى للدعوة، وقبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ويتخذها مقراً لالتقائه بأصحابه المؤمنين..

فهو أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام..

عرض عليه «أبو بكر» الإسلام هو و«عثمان بن عفان»، و«الزبير بن العوام»، و«طلحة بن عبيد الله»، و«سعد بن أبى وقاص»، فما غمَّ عليهم الأمر ولا أبطأ بهم الشك، بل سارعوا مع «الصديق» إلى رسول الله يُبَايعونه ويحملون لواءه.

ومنذ أسلم إلى أن لقي ربه فى الخامسة والسبعين من عمره،

وهو نموذج باهر للمؤمن العظيم، مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يضعه مع العشرة الذين بشرهم بالجنة.. وجعل «عمر» رضى الله عنه يضعه مع أصحاب الشورى الستة الذين جعل الخلافة فيهم من بعده قائلاً: «لقد توفى رسول الله وهو عنهم راض».

وفورَ إسلام «عبد الرحمن» حملَ حظه المناسب، من اضطهاد قريش وتحدياتها.

وحين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة هاجر «ابن عوف» ثم عاد إلى مكة، ثم هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية ثم هاجر إلى المدينة.. وشهد بدرًا، وأُحدًا، والمشاهد كلها.



وكان محظوظاً في التجارة إلى حد أنارَ عجبه ودهشه فقال:
«لقد رأيتني، لو رَفَعْتُ حجراً، لوجدت تحته فضة
وذهباً»...!!

ولم تكن التجارة عند «عبد الرحمن بن عوف» رضى الله عنه شَرهاً ولا احتكاراً..

بل لم تكن حرصاً على جمع المال وشَغَفاً بالشراء..
كلا..

إنما كانت عملاً، وواجباً يزيدهما النجاح قُرْباً من النفس،
ومزيداً من السعي...

وكان «ابن عوف» يحمل طبيعة جيّاشة، تجد راحتها في العمل
الشريف حيث يكون..

فهو إذا لم يكن في المسجد يصلى، ولا في الغزو يُجَاهِد فهو في
تجارته التى نَمَتْ نُمُوً هائِلاً، حتى أخذت قوافله تَفْدُ على المدينة من
مصر، ومن الشام، محملة بكل ما تحتاج إليه جزيرة العرب من
كساء وطعام..

ويدلنا على طبيعته الجياشة هذه، مسلكه غداة هجرة المسلمين
إلى المدينة..

لقد جرى نهج الرسول يومئذ على أن يُؤاخي بين كل اثنين
من أصحابه، أحدهما مهاجر من مكة، والآخر أنصارى من
المدينة.

وكانت هذه المواخاة تتم على نسق يبهر الألباب، فالأنصارى
من أهل المدينة يقاسم أخاه المهاجر كل ما يملك.. حتى فراشه،

فإذا كان متزوجاً باثنين، طَلَّقَ إحداهما، ليتزوجها أخوه..!!
ويومئذ أخى الرسول الكريم بين عبد الرحمن بن عوف،
وسعد بن الربيع..

وَلُتَّصَغَ للصحابي الجليل «أنس بن مالك» رضى الله عنه
يروى لنا ما حدث:

«... وقال سعد لعبد الرحمن: أخى، أنا أكثر أهل
المدينة مالاً، فانظر شطر مالى فخذهُ!!
«وتحتى امرأتان، فانظر أيتهما أعجب لك حتى أُطَلِّقها،
وتتزوجها..!»

فقال له عبد الرحمن بن عوف:

«بَارَكَ الله لك فى أهلك ومالك...»

دُلُونى على السُّوق..

«وخرج إلى السوق، فاشترى... وباع... وربح...»!!

وهكذا سارت حياته فى المدينة، على عهد الرسول صلى الله
عليه وسلم وبعد وفاته.. أداءً كامل لحقِّ الدين، وعمل الدنيا..
وتجارة رابحة ناجحة، لو رفع صاحبها - على حَدِّ قوله - حجراً
من مكانه لوجد تحته ذهباً وفضة..!!

ومما جعل تجارته ناجحة مباركة، تحريره الحلال ، وتأيمه الشديد
عن الحرام، بل عن الشُّبُهَات..

كذلك مما زادها نجاحًا وبركة أنها لم تكن لعبد الرحمن
وحده... بل كان لله فيها نصيب أوفى، يَصِلُ به أهله، وإخوانه،
ويجهِّز به جيوش الإسلام...

وإذا كانت التجارة والثروات، إنما تُحصى بأعداد رصيدها
وأرباحها فإن ثروة عبد الرحمن بن عوف إنما تُعرَف بمقاديرها
وأعدادها بما كان يُنفق منها في سبيل الله رب العالمين..!!

لقد سمع رسول الله يقول له يومًا:

«يا بن عَوْف إنك من الأغنياء..

«وإنك ستدخل الجنة حَبَوًّا..

«فَأَقْرِضِ الله يُطْلِقْ لك قَدَمَيْكَ»..

ومنذ سمع هذا النَّصْحَ من رسول الله ، وهو يُقرض ربه قرضًا
حَسَنًا، فيضاعفه الله له أضعافًا كثيرة.

باع في يوم أرضًا بأربعين ألف دينار، ثم فَرَّقَهَا جميعًا في أهله
من بني زُهْرَةَ، وعلى أُمَمَات المؤمنين، وفقراء المسلمين.

وقَدَّمَ يومًا لجيوش الإسلام خمسمائة فرس.. ويومًا آخر ألفًا

وخمسمائة راحلة.

وعند موته، أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأوصى لكل من بقى مَن شهدوا بدرًا بأربعمائة دينار، حتى إن عثمان ابن عفان رضى الله عنه، أخذ نصيبه من الوصية برغم ثرائه وقال: «إن مال عبد الرحمن حلالٌ صَفْوٌ، وإن الطُّعْمَةُ منه عافية وبركة».

* * *

كان «ابن عوف» سَيِّدَ ماله ولم يكن عَبْدَهُ..
وآية ذلك أنه لم يكن يشقى بجمعه ولا باكتنازه..
بل هو يجمعه هَوْنًا، ومن حلال.. ثم لَا يَنْعَمُ به وحده... بل يَنْعَمُ به معه أهله وَرَجُلُهُ وإخوانه ومجتمعه كله.
ولقد بلغ من سَعَةِ عَطَائِهِ وَعَوْنِهِ أنه كان يقال:
«أهل المدينة جميعًا شركاء لابن عوف في ماله.
«ثُلُثٌ يُقْرِضُهُمْ..
«وثلثٌ يَقْضِي عَنْهُمْ ديونَهُمْ..
«وثلثٌ يَصِلُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ..»!!

ولم يكن تراؤه هذا لبيعته الارتياح لديه والغبطة في نفسه، لو

لم يُكِّنه من مُناصرة دينه، ومعاونة إخوانه.

أما بعد هذا، فقد كان دائم الوجل من هذا الثراء..

جىء له يوماً بطعام الإفطار، وكان صائماً..

فلما وقعت عليه عيناه فقد شهيته وبكى وقال:

«أستشهد «مصعب بن عمير» وهو خير منى، فكُفِّن
في بردة إن غطَّت رأسه، بدت رجلاه، وإن غطَّت
رجلاه بدا رأسه.

«وأستشهد «حزة» وهو خير منى، فلم يوجد له ما
يُكفَّن فيه إلا بردة.

«ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسِط، وأُعطينا منها ما
أُعطينا وإني لأخشى أن نكون قد عَجَلْتُ لنا
حسناتنا»!!

واجتمع يوماً بعض أصحابه على طعام عنده.

وما كاد الطعام يوضع أمامهم حتى بكى، وسألوه:

- ما يبكيك يا أبا محمد..؟

قال:

«لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما شيع
هو وأهل بيته من خبز الشعير..

«ماأرانا أُخْرْنَا لما هو خير لنا»!!

. كذلك، لم يبتعث ثراؤه العريض ذرة واحدة من الصِّلَف
والكبر في نفسه..

حتى لقد قيل عنه: إنه لو رآه غريب لا يعرفه وهو جالس مع
خَدَمه، ما استطاع أن يميزه من بينهم.!!

لكن إذا كان هذا الغريب يعرف طَرْفًا من جهاد «ابن عوف»
وبلائه، فيعرف مثلاً أنه أُصِيب يوم «أُحُد» بعشرين جراحة، وأن
إحدى هذه الإصابات تركت عَرَجًا دائمًا في إحدى ساقيه.. كما
سقطت يوم «أُحُد» بعض ثنياه، فتركَّت هَتَمًا واضعًا في نُطْقِه
وحديثه..

عندئذ لا غير، يستطيع هذا الغريب أن يعرف أن هذا الرجل
الفارع القامة، المضىء الوجه، الرقيق البَشَرَة، الأعرج؛ الأَهم
من جرَّاء إصابته يوم «أُحُد»، هو عبد الرحمن بن عوف..!!
رضى الله عنه، وأرضاه..



لقد عودتنا طبائع البَشَر أن الثراء يُنادى السُّلْطَة..

أى أن الأثرياء يحبون دائماً أن يكون لهم نفوذ يحمى ثراءهم
ويضاعفه، ويُشبع شهوة الصِّلَف والاستعلاء والأنانية التى يثيرها
الثراء عادة..

فإذا رأينا «عبد الرحمن بن عوف» فى ثرائه العريض هذا،
رأينا إنساناً عَجَباً يقهر طبائع البَشَر فى هذا المجال ويتخطاها إلى
سُمُوٍّ فريد..!

حدث ذلك عندما كان «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه
يجود بروحه الطاهرة، ويختار ستة رجال من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم، ليختاروا من بينهم الخليفة الجديد..

كانت الأصابع تُومى نحو ابن عوف وتُشير..

ولقد فاتحه بعض الصحابة فعلاً فى أنه أحق الستة بالخلافة،

فقال:

«والله، لَأَن تَأْخُذَ مُدَّةً، فتوضع فى حَلْقَى، ثم يُنْفَذَ بها

إلى الجانب الآخر أَحَبُّ إِلَى من ذلك»..!!

وهكذا، لم يكد الستة المختارون يعقدون اجتماعهم ليختاروا

أحدهم خليفة بعد الفاروق «عمر» حتى أنبأ إخوانه الخمسة

الآخرين أنه مُتنازل عن الحق الذي أضفاه «عمر» عليه حين جعله أحد الستة الذين يختار الخليفة منهم... وأنَّ عليهم أن يُجروا عملية الاختيار بينهم وحدهم - أى بين الخمسة الآخرين.. وسرعان ما أحلَّه هذا الزهد فى المنصب مكان الحَكَم بين الخمسة الأجلَّاء، فرَضُوا أن يختار هو الخليفة من بينهم، وقال له الإمام على:

«لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفُك بأنك أمين فى أهل السماء، وأمين فى أهل الأرض...» واختار «ابن عوف» «عثمان بن عفان» للخلافة، فأمضى الباقيون اختياره.

* * *

هذه حقيقة رجلٍ ثَرِيٍّ فى الإسلام..

فهل رأيتم ما صنع الإسلام به حتى رفعه فوق الثراء بكل مغرياته ومُضْلَلَاتِهِ، وكيف صاغه فى أحسن تقويم...؟

وها هو ذا فى العام الثانى والثلاثين للهجرة، يجود بأنفاسه.. وتريد أم المؤمنين عائشة أن تخصَّه بشرف لم تختصَّ به سواه، فتعرض عليه وهو على فراش الموت أن يُدفن فى حجرتها إلى

جوار الرسول، وأبى بكر، وعمر..

ولكنه مسلم أحسن الإسلام تأديبه، فيستحي أن يرفع نفسه إلى هذا الجوار..!!

ثم إنه على موعد سابق وعهد وثيق مع «عثمان بن مظعون»^(١)، إذ تواتقا ذات يوم: أيهومات بعد الآخر، يدفن إلى جوار صاحبه...



وبينما كانت روحه تتهياً لرحلتها الجديدة كانت عيناه تفيضان من الدمع، ولسانه يتمتم ويقول:
«إني أخاف أن أُحْبَسَ عن أصحابي لكثرة ما كان لي من مال»...

ولكن سكينه الله سُرْعَان ما تغشته، فكست وجهه غلالة رقيقة من الغبطة المشرقة المتهللة المطمئنة..
وَأُرْهِفَتْ أذْناه لِلسَّمْعِ... كما لو كان هناك صَوْتُ عَذْبٍ يقترب منها...

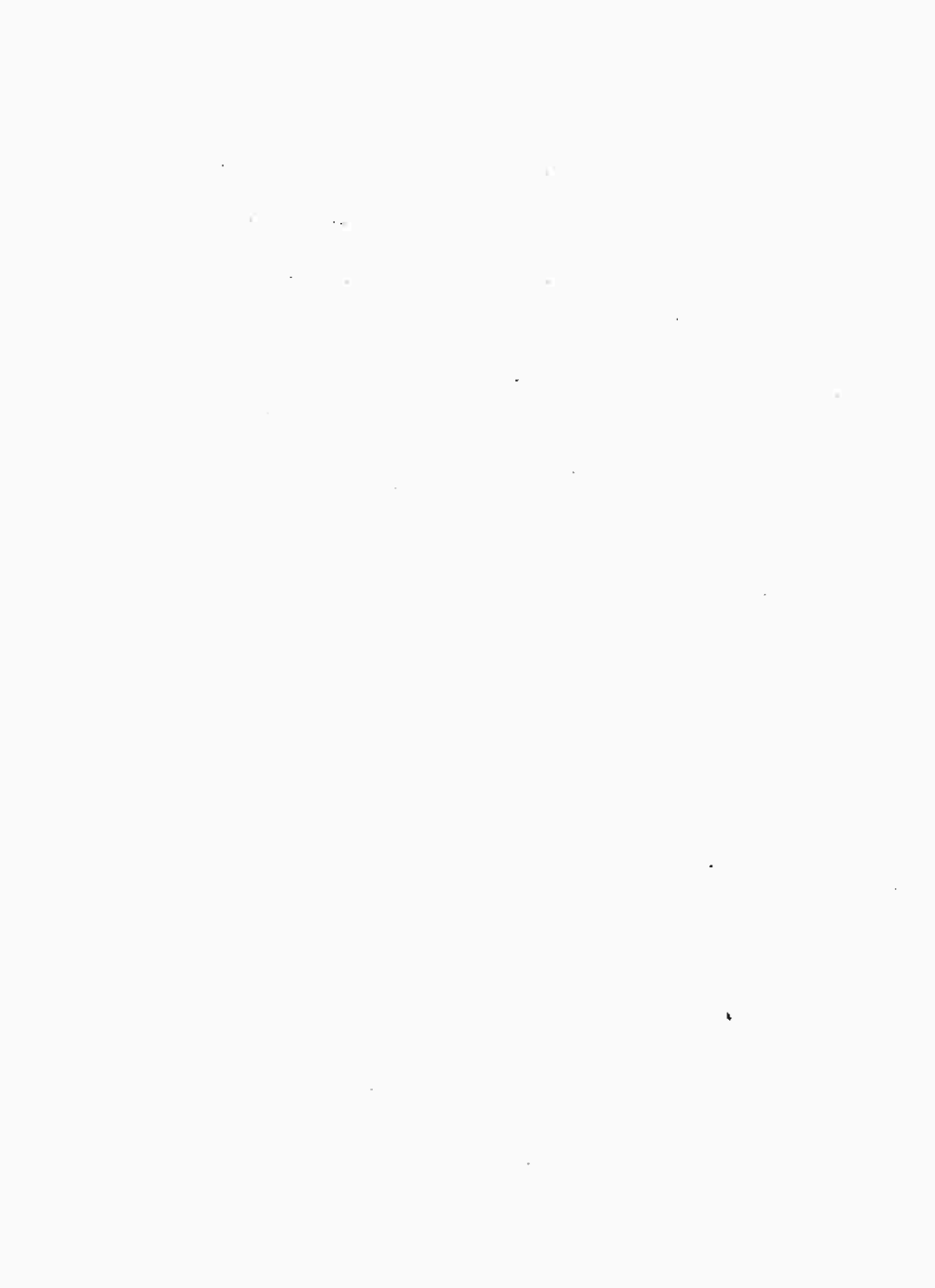
(١) عثمان بن مظعون مضت ترجمته فيما سلف من الكتاب.

لَعَلَّهٗ آتٰنْذٌ، كَانَ يَسْمَعُ صَدَقَ قَوْلَ الرَّسُولِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَهُ مِنْذُ عَهْدٍ بَعِيدٍ:

«عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ»...

وَلَعَلَّهُ كَانَ يَسْمَعُ أَيْضًا وَعْدَ اللّٰهِ فِي كِتَابِهِ:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ. ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ
مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ﴾..



أَبُو جَابِر عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ ظَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ !!

عندما كان الأنصار السبعون يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية، كان عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو جابر بن عبد الله أحد هؤلاء الأنصار..

ولما اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم نُبُءًا، كان عبد الله بن عمرو أحد النُبُءَاءِ... جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيباً على قومه من بنى سَلَمَةَ..

ولما عاد إلى المدينة وضع نفسه، وماله، وأهله في خدمة الإسلام..

وبعد هجرة الرسول إلى المدينة، كان أبو جابر قد وجد

كل حظوظه السعيدة في مصاحبة النبي عليه السلام ليله
ونهاره..

وفي غزوة بدر خرج مجاهدًا، وقاتل قتال الأبطال..
وفي غزوة أُحُد تراءى له مصرعه قبل أن يخرج المسلمون
للفزوة..

وغمره إحساس صادق بأنه لن يعود، فكاد قلبه يطير من
الفرح!!

ودعا إليه ولده «جابر بن عبدالله» الصحابي الجليل، وقال
له:

«إني لا أراي إلا مقتولا في هذه الغزوة...
«بل لعلّي سأكون أول شهدائها من المسلمين..
«وإني والله، لا أدعُ أحدًا بعدى أحبّ إلى منك
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم..
«وإن عَلَيَّ دينًا، فاقض عني ديني، وأستوص بإخوتك
خيرًا»...

وفى صبيحة اليوم التالى خرج المسلمون للقاء قريش...
قريش التى جاءت فى جيش لَجِب تغزو مدينتهم الآمنة..
ودارت معركة رهيبه، أدرك المسلمون فى بدايتها نصرًا سريعًا،
كان يمكن أن يكون نصرًا حاسمًا، لولا أن الرُّماة الذين أمرهم
الرسول عليه السلام بالبقاء فى مواقعهم وعدم مغادرتها أبدًا
أغراهم هذا النصر الخاطف على القرشيين، فتركوا مواقعهم فوق
الجبيل، وشغلوا بجمع غنائم الجيش المنهزم...

هذا الجيش الذى جمع فلوله سريعًا حين رأى ظهر المسلمين
قد انكشف تمامًا، ثم فاجأهم بهجوم خاطف من وراء؛ فتحوّل نصر
المسلمين إلى هزيمة...

* * *

فى هذا القتال المرير، قاتل «عبد الله بن عمرو» قتال مُودّع
وشهيد...

ولما ذهب المسلمون بعد نهاية القتال ينظرون شهداءهم...
ذهب «جابر بن عبد الله» يبحث عن أبيه، حتى أَلْفاه بين
الشهداء، وقد مثّل به المشركون، كما مثّلوا بغيره من الأبطال..
ووقف جابر وبعض أهله ليكون شهيد الإسلام عبد الله

ابن عمرو بن حرام، ومر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم يبكونه، فقال:

[أبكوه...]

[أو لا تبكوه...]

[فإن الملائكة لَتُظِلُّه بِأَجْنَحَتِهَا]...!!

كان إيمان «أبو جابر» متألقاً ووثيقاً..

وكان حُبُّه - بل شَغَفُهُ - بالموت في سبيل الله منتهى أطماحه
وأمانِيَّه...

ولقد أنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فيما بعد نبأ
عظيماً، يصوره شغفه العظيم بالشهادة..

قال عليه الصلاة والسلام لولده جابر يوماً:

«يا جابر:

ما كلم الله أحداً قطَّ إلا من وراء حجاب...

ولقد كلم كفاً - أى مواجهة -

فقال له: يا عبدى، سَلْنِي أُعْطِكَ..

فقال: ياربِّ، أسألك أن تردَّنِي إلى الدنيا، لِأُقْتَلَ فِي

سبيلك ثانية..

قال الله له:

إنه قد سبق القول مني: أنهم إليها لا يُرجعون.

قال: يارب فأبلغ مَنْ ورائي بما أعطيتنا من نعمة..

فأنزل الله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ. أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وعندما كان المسلمون يتعرفون على شهدائهم الأبرار، بعد فراغ القتال في «أُحُد»...

وعندما تعرّف أهل «عبد الله بن عمرو» على جثمانه، حملته زوجته على ناقتها وحملت معه أخاها الذي استشهد أيضًا، وهَمَّتْ بهما راجعة إلى المدينة لتدفنها هناك، وكذلك فعل بعض المسلمين بشهادتهم...

بيد أن مُنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحق بهم

وناداهم بأمر الرسول أُنْ:

«ادفنوا القتلى في مصارعهم»...

فعاد كل منهم بشهيد..

ووقف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يُشرف على دَفْنِ أصحابه الشهداء، الذين صَدَّقُوا ما عاهدوا الله عليه، وبذلوا أرواحهم الغالية قُرْبَانًا متواضعًا لله ولرسوله..

ولما جاء دور عبد الله بن حرام ليدفن، نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ادفنوا عبد الله بن عمرو، وعمرو بن الجموح في قبر واحد، فإنهما كان في الدنيا مُتَحَابِّين، مُتَصَافِيين»...

والآن...

وفي خلال اللحظات التي يُعَدُّ فيها القبر السعيد لاستقبال الشهيدَيْن الكريمَيْن، تَعَالَوْا نُلْقِ نظرة مُحِبَّةَ على الشهيد الثاني «عمرو بن الجموح»...

عَمْرُ بْنُ الْجَمُوحِ أُرِيدُ أَنْ أخطرَ بِعِزَّتِي فِي الْجَنَّةِ !!

إنه صهرُ عبد الله بن عمرو بن حرام، إذ كان زوجاً لأخته
«هند بنت عمرو»..

وكان «ابن الجموح» واحداً من زعماء المدينة، وسيداً من
سادات بني سَلَمَةَ...

سبقه إلى الإسلام ابنه «مُعَاذُ بن عمرو» الذي كان أحد
الأنصار السبعين، أصحاب «بيعة العقبة»..

وكان «مُعَاذُ بن عمرو» وصديقه «مُعَاذُ بن جبل»^(١) يدعو
للإسلام بين أهل المدينة في حماسة الشباب المؤمن الجريء...

(١) قد سلفت ترجمته.

وكان من عادة الناس هناك أن يتخذ الأشراف في بيوتهم
أصناماً رمزية غير تلك الأصنام الكبيرة المنصوبة في محافلها، والتي
تؤمُّها جموع الناس..

وعمر بن الجموح باعتباره شريفاً وسيِّداً، كان قد اصطنع
صنماً أقامه في داره وأسماه «منافاً».

واتفق ولده «معاذ بن عمرو» مع صديقه «معاذ بن جبل» على
أن يجعلوا من صنم «عمر بن الجموح» سُخرية وَلَعِباً..

فكانا يُدْجِجان عليه ليلاً، ثم يحملانه ويطرحانه في حفرة يطرح
الناس فيها فضلاتهم..

ويصبح «عمر» فلا يجد «منافاً» في مكانه، ويبحث عنه حتى
يجده طريح تلك الحفرة.. فيثور ويقول:

- ويلكم، مَنْ عدا على آلهتنا هذه الليلة..؟!

ثم يغسله. ويُطَهِّره، ويطيِّبه...

فإذا جاء ليل جديد، صنع المعاذان «معاذ بن عمرو» و«معاذ
ابن جبل» بالصنم مثل ما يفعلان به كل ليلة.

حتى إذا سئم «عمر» جاء بسيفه ووضعه في عنق «مناف»
وقال له: إن كان فيك خير فدافع عن نفسك..!!

فلما أصبح لم يجده مكانه.. بل وجده في الحفرة ذاتها طريحاً، بيد أنه في هذه المرة لم يكن في حفرة وحيداً.. بل كان مشدوداً مع كلب ميت في حبل وثيق.

وإذا هو في غضبه، وأسفه، ودَهْشه، اقترب منه بعض أشرف المدينة الذين كانوا قد سبقوا إلى الإسلام... وراحوا، وهم يشيرون بأصابعهم إلى الصنم المنكس المقرون بكلب ميت، يخاطبون في «عمر وبن الجموح» عقله وقلبه ورُشده، محدثينه عن الإله الحق، العلى الأعلى، الذى ليس كمثله شىء..

وعن «محمد» الصادق الأمين، الذى جاء الحياة ليعطى لا ليأخذ.. ليهدى، لا ليضلّ..

وعن الإسلام، الذى جاء يحرر البشر من الأغلال - جميع الأغلال - وجاء.. يحيى فيهم روح الله وينشر في قلوبهم نوره. وفي لحظات وجد «عمر و» نفسه ومصيره..

وفي لحظات - ذهب، فطهر ثوبه، وبدنه... ثم تطيب وتألق، وتألق، وذهب على الجبهة مشرق النفس، ليبيع خاتم المرسلين، وليأخذ مكانه مع المؤمنين.



قد يسأل سائل نفسه: كيف كان رجال من أمثال «عمر و ابن الجموح».. وهم زعماء في قومهم وأشراف.. كيف كانوا يؤمنون بأصنام هازلة كل هذا الإيمان...؟

وكيف لم تعصمهم عقولهم عن مثل هذا الهراء.. وكيف نُعِدَّهم اليوم - حتى مع إسلامهم وتضحياتهم - من عظماء الرجال..؟

ومثل هذا السؤال يبدو إirاده سهلا في أيامنا هذه حيث لا نجد طفلا يسيع عقله أن ينصب في بيته خشبة ثم يعبدها.. لكن في أيام خلت، كانت عواطف البشر تتسع لمثل هذا الصنيع دون أن يكون لذكائهم ونبوغهم حيلة تجاه تلك التقاليد..!!

وحسبنا لهذا مثلا «أثينا»...

أثينا في عصر «باركليز» و«فيثاغورس» و«سقراط»..

أثينا التي كانت قد بلغت رُقياً فكرياً يبهّر الألباب، كان أهلها جميعاً: فلاسفة، وحكاماً، وجماهير يؤمنون بأصنام منحوتة إيماناً تناهى في البلاهة والسخرية!!

ذلك أن الوجدان الدينى فى تلك العصور البعيدة، لم يكن
يسير فى خط مُوازٍ للتفوق العقلى..

أسلم «عمر بن الجموح» قلبه، وحياته لله رب العالمين، وعلى
الرغم من أنه كان مفطوراً على الجود والسخاء، فإن الإسلام زاد
جوده مضاء، فوضع كل ماله فى خدمة دينه وإخوانه.

سأل الرسول صلى الله عليه وسلم جماعة من «بنى سَلَمَة»
قبيلة «عمر بن الجموح» فقال:

- مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنَى سَلَمَةَ...؟

قالوا: الجدُّ بن قيس، على بخل فيه...

فقال عليه السلام:

«وَأَيُّ دَاءٍ أَدَوَى مِنَ الْبَخْلِ!!

بل سيدكم الجعدُّ الأبيض، عمرو بن الجموح»..

فكانت هذه الشهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
تكريماً لابن الجموح، أى تكريماً...!

وفي هذا قال شاعر الأنصار:
فَسَوْدَ عَمْرٍو بن الجموح لجوده وحقَّ لعمرٍو بالنَّدَى أن يُسَوِّدَا
إذا جاءه السُّؤالُ أذهب ماله وقال: خذوه، إنه عائد غدا
ومثَّل ما كان «عمرٍو بن الجموح» يجود بماله في سبيل الله،
أراد أن يجود بروحه وبحياته..

ولكن كيف السبيل؟؟

إن في ساقه عرجًا شديدًا يجعله غير صالح للاشتراك في قتال.
وإن له أربعة أولاد، كلهم مسلمون، وكلهم رجال كالأسود،
كانوا يخرجون مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الغزو،
ويثابرون على فريضة الجهاد..

ولقد حاول «عمرٍو» أن يخرج في غزوة «بدر» فتوسَّل أبناؤه
إلى النبي صلى الله عليه وسلم كي يقنعه بعدم الخروج، أو يأمره به
إذا هو لم يقتنع..

وفعلا، أخبره النبي صلى الله عليه وسلم أن الإسلام يعفيه من
الجهاد كفريضة، وذلك لعجزه المائل في عرجه الشديد..

بيد أنه راح يُلحُّ ويرجو.. فأمره الرسول بالبقاء في المدينة.

وجاءت غزوة «أُحُد» فذهب «عمرو» إلى النبي صلى الله عليه وسلم يتوسل إليه أن يأذن له وقال له:

«يا رسول الله إنَّ بَنِيَّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك إلى الجهاد...»

«ووالله إني لأرجو أن - أُخْطِرَ - بِعَرَجَتِي هذه في الجنة...»

وأمام إصراره العظيم أذن له النبي عليه السلام بالخروج، فأخذ سلاحه، وانطلق يَخْطِرُ في حبور وغبطة، ودعا ربه بصوت ضارع:

«اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي».

* * *

والتقى الجمعان يوم «أُحُد»...

وانطلق «عمرو بن الجموح» وأبناؤه الأربعة يضربون بسيوفهم جيش الظلام والشرك...

كان «عمرو» يَخْطِرُ وسط الممعة الصاخبة، ومع كل خطرة يقطف سيفه رأساً من رعوس الوثنية..

كان يضرب الضربة بيمينه، ثم يلتفت حواليه في الأفق الأعلى، كأنه يتعجل قدوم الملاك الذى سيقبض روحه، ثم يصحبها إلى الجنة..

أجل... فلقد سأل ربه الشهادة، وهو واثق أن الله سبحانه وتعالى قد استجاب له...

وهو مُغرَمٌ - أى مُغرم - بأن يخطر بساقه العرجاء فى الجنة ليعلم أهلها أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعرف كيف يختار الصَّحَاب، وكيف يربى الرجال!!

وجاء ما كان ينتظر.

ضربة سيف أَوْمَضَتْ، مُعلنة ساعة الزفاف...

زفاف شهيد مجيد إلى جنات الخلد، وفردوس الرحمن!!

وإذ كان المسلمون يدفنون شهداءهم، قال الرسول عليه السلام أمره الذى سمعناه من قبل:

«انظروا، فاجعلوا عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو ابن الجموح فى قبر واحد، فإنها كانا فى الدنيا متحابين متصافيين»!!

ودُفن الحبيبان الشهيدان الصديقان في قبر واحد، تحت ثرى الأرض التى تَلَقَّتْ جثمانيهما الطاهرين، بعد أن شهدت بطولتهما الخارقة.

وبعد مُضَى ست وأربعين سنة على دفنها ورفاقهما، نزل سيلٌ شديد غَطَّى أرض القبور، بسبب عين من الماء أجراها هناك معاوية، فسارع المسلمون إلى نقل رُفات الشهداء، فإذا هم كما وصفهم الذين اشتركوا في نقل رُفاتهم:

«لَيِّنَة أجسادهم..

تَسْنَى أطرافهم»...!!

وكان «جابر بن عبد الله» لا يزال حيًّا، فذهب مع أهله لينقل رُفات أبيه «عبد الله بن عمرو بن حرام»، ورُفات زوج عمته «عمرو بن الجموح»...

فوجدهما في قبرهما، كأنهما نائمان... لم تأكل الأرض منها شيئًا، ولم تفارق شفاهما بِسْمَةِ الرضا والغبطة التى كانت يوم دُعِيا للقاء الله...

أتعجبون..؟

كلا، لا تعجبوا..

فإن الأرواح الكبيرة، النّقيّة، النّقيّة، التي سيطرت على
مصيورها... تترك في الأجساد التي كانت مَوْثلاً لها، قدرًا من المناعة
يدرأ عنها عوامل التحلل، وسطوة التراب..

حبيب بن زيد أسطورة فداء وحب

في بيعة العقبة الثانية التي مر بنا ذكرها كثيرًا، والتي بايع الرسول صلى الله عليه وسلم فيها سبعون رجلاً وسيدتان من أهل المدينة، كان «حبيب بن زيد» وأبوه «زيد بن عاصم» رضى الله عنهما من السبعين المباركين..

وكانت أمه «نُسَيْبَةُ بنت كعب» أولى السيدتين اللتين بايعتا رسول الله صلى الله عليه وسلم..

أما السيدة الثانية، فكانت خالته..!!

هو إذن مؤمن عريق جرى الإيمان في أصلا به وتراثه...
ولقد عاش إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد

هجرته إلى المدينة لا يتخلف عن غزوة، ولا يقعد عن واجب..

وذات يوم شهد جنوب الجزيرة العربية كَذَائِينَ عَاتِيَيْنِ يَدَّعِيَانِ
النُّبُوَّةَ ويسوقان الناس إلى الضلال...

خرج أحدهما بصنعاء، وهو الأسود بن كعب العنسي..
وخرج الثاني باليمامة، وهو مُسَيْلِمَةُ الكذاب...

وراح الكذابان يحرّضان الناس على المؤمنين الذين استجابوا
لله، وللرسول في قبائلهما، ويحرّضان على مبعوثي رسول الله إلى
تلك الديار..

وأكثر من هذا، راحا يُشَوِّشان على النُّبُوَّةِ نفسها، ويعيثان في
الأرض فساداً وضلالاً..

وفوجئ الرسول يوماً بمبعوثٍ بعثه «مُسَيْلِمَةُ» يحمل منه كتاباً
يقول فيه «من مُسَيْلِمَةُ رسول الله، إلى «محمد» رسول الله.. سلام
عليك.. أما بعد، فإني قد أُشْرِكْتُ في الأمر، معك، وإن لنا نصف
الأرض، ولقريش نصفها، ولكنَّ قريشاً قوم يعتدون»...!!!

ودعا الرسول أحد أصحابه الكاتين، وأملى عليه ردّه على
مسيلمة:

«بسم الله الرحمن الرحيم...

من «محمد» رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب.

«السلام على من أتبع الهدى..

«أما بعد، فإن الأرض لله، يُورثها من يشاء من عباده،

والعاقبة للمتقين»...!

وجاءت كلمات الرسول هذه كفلق الصبح. ففضحت كذاب

بنى حنيفة الذى ظنَّ النبوة مُلكًا، فراح يطالب بنصف الأرض
ونصف العباد..!

وحمل مبعوث مسيلمة ردّ الرسول عليه السلام إلى مسيلمة

الذى ازداد ضلّالا وإضلّالا..

ومضى الكذاب ينشر إفكّه وبهتانه، وازداد أذاه للمؤمنين

وتحريضه عليهم، فرأى الرسول أن يبعث إليه رسالة ينهائ فيها
عن حماقاته..

ووقع اختياره عليه السلام على «حبيب بن زيد» ليحمله
الرسالة إلى مسيلمة..

وسافر «حبيب» يغذُّ الحُطَى، مُغْتَبِطًا بالمهمة الجليلة التي ندبه
إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنِيًّا نفسه بأن يهتدى إلى
الحق، قَلْبُ مسيلمة فيذهب «حبيب» بعظيم الأجر والثوبة.

وبلغ المسافر غايته..

وفضَّ مسيلمة الكذاب الرسالة التي أعشاه نورها، فازداد
إمعاناً في ضلاله وغروره..

ولما لم يكن مسيلمة أكثر من أفاق دَعَى، فقد تحلى بكل صفات
الأفّاقين الأدّعاء..!!

وهكذا، لم يكن معه من المروءة ولا من العُروبة والرجولة ما
يردُّه عن سفك دم رسول يحمل رسالة مكتوبة.. الأمر الذي
كانت العرب تحترمه وتقده..!!

وأراد قَدَرُ هذا الدين العظيم - الإسلام - أن يُضيف إلى
دروس العظمة والبطولة التي يُلقِيها على البشرية بأسرها، درسًا
جديدًا موضوعه هذه المرة، وأستاذه أيضًا، حبيب بن زيد..!!

جمع الكذاب مسيلمة قومه، وناداهم إلى يوم من أيامه
المشهودة..

وجيء بمبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم -
حبيب بن زيد - يحمل آثار تعذيب شديد أنزله به المجرمون
مؤمنين أن يسلبوا شجاعة روحه، فيبدو أمام الجمع متخاذلا
مستسلما، مُسارعًا إلى الإيمان بمسيلمة حين يُدعى إلى هذا الإيمان
أمام الناس.. وهذا يحقق الكذاب الفاشل معجزة موهومة أمام
المخدوعين به..

* * *

قال مسيلمة لـ «حبيب»:

- أتشهد أن محمدًا رسول الله..؟

وقال حبيب:

- نعم: أشهد أن محمدًا رسول الله.

وكست صُفرة الخزى وجه مسيلمة، وعاد يسأل:

- وتشهد أنى رسول الله..؟؟

وأجاب حبيب فى سخرية قاتلة:

- إني لا أسمع شيئاً!!

وتحوّلت صفرة الخزى على وجه الكذاب إلى سواد حاقـد
مخبول..

لقد فشلت خطته، ولم يُجده تعذيبه، وتلقّى أمام الذين جمعهم
ليشهدوا معجزته.. تلقى لكمة قوية أسقطت هيبتـه الكاذبة فى
الوحد..

هنالك هاج كالثور المذبوح، ونادى جلاّده الذى أقبل ينخس
جسد «حبيب» بسنّ سيفه..

ثم راح يقطع جسده، قطعة قطعة، وبُضعة بُضعة، وعضوًا
عضوًا...

والبطل العظيم لا يزيد على هممة يردد بها نشيد إسلامه:

«لا إله إلا الله، محمد رسول الله»...



لو أن «حبيبًا» أنقذ حياته يومئذ بشيء من المسائرة الظاهرة
لمسلمة، طاوياً على الإيمان صدره، لما نقص إيمانه شيئاً،
ولا أصاب إسلامه سوء...

ولكن الرجل الذى شهد مع أبيه، وأمه، وأخيه، وخالته بيعة
العقبة، والذى حمل منذ تلك اللحظات الحاسمة المباركة مسئولية

بيعته وإيمانه كاملة غير منقوصة، ما كان له أن يوازن لحظة من
نهار بين حياته ومبدئه..

ومن ثم لم يكن أمامه لكى يريح حياته كلها مثل هذه الفرصة
الفريدة التى تمثلت فيها قصة إيمانه كلها.. ثبات، وعظمة، وبطولة،
وتضحية، واستشهاد فى سبيل الهدى والحق يكاد يفوق فى حلاوته،
وفى روعته كل ظفر وكل انتصار..!!

* * *

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم نبأ استشهاد مبعوثه
الكریم، واضطرب لحكم ربه، فهو يرى بنور الله مصير هذا
الكذاب مُسَيِّمَةً، ويكاد يرى مَصْرَعَهُ رَأًى العين..

أما «نَسِيْبَةُ بنت كعب» أُمُّ «حبيب» فقد ضغطت على أسنانها
طويلاً، ثم أطلقت يميناً مبرورة لَتَّارَنَ لولدها من «مسيلمَة» ذاته،
ولتغوصن فى لحمه الحبث برمجها وسيفها..

وكان القَدَر الذى يرمق آنئذ جزعها وصبرها وجلدها، يُبْدِى
إعجاباً كبيراً بها، ويقرر فى نفس الوقت أن يقف بجوارها حتى
تبرَّ يمينها..!!

* * *

ودارت من الزمان دورة قصيرة.. جاءت على أثرها الموقعة الخالدة، موقعة اليمامة..

وجَهَّزَ أبو بكر الصَّدِّيق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش الإسلام الذاهب إلى اليمامة حيث أعدَّ مسيلمة أضخم جيش..

وخرجت «نُسيبة» مع الجيش..

وَأَلَّتْ بنفسها في خِصْمِ المعركة، في يُمْنِها سيف، وفي يُسْرَها رُمح، ولسانها لا يكف عن الصياح:

«أين عدو الله مُسَيْلِمة»...؟؟

ولما قُتِلَ مسيلمة، وسقط أتباعه كَالْعِهْنِ المنفوش، وارتفعت رايات الإسلام عزيزة ظافرة.. وقفت «نُسيبة» وقد مُلئ جسدها الجليل، القوىُّ بالجراح وطعنات الرماح...

وقفت تستجلي وجه ولدها الحبيب، الشهيد «حبيب» فوجدته يملأ الزمان والمكان..!!

أَجَلٌ...

ما صَوَّبَتْ «نُسيبة» بصرها نحو راية من الرايات الخفاقة المنتصرة الضاحكة إلا رأت عليها وجه ابنها «حبيب» خفاقاً.. منتصراً... ضاحكاً...

أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ، أَبَا الْمُنْذِرِ

سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم:

«يا أبا المنذر...؟؟»

أتى آية من كتاب الله أعظم...؟؟»

فأجاب قائلاً:

«الله ورسوله أعلم...»

وأعاد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سؤاله:

«أبا المنذر...؟؟ أتى آية من كتاب الله أعظم...؟؟»

وأجاب أبى:

«الله لا إله إلا هو الحى القيوم...»

فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره بيده، وقال له
والغبطة تأتلق على مُحَيَّاهُ:

«لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر»...

* * *

إن «أبا المنذر» الذي هنأه الرسول الكريم بما أنعم الله عليه
من علم وفهم هو «أُبَيُّ بن كَعْب» الصحابي الجليل..

هو أنصارى من الخَزَرَج، شهد العقبة، وبدراً، وبقية المشاهد...

وبلغ في المسلمين الأوائل منزلة رفيعة، ومكاناً عالياً، حتى لقد
قال عنه أمير المؤمنين عمر رضى الله عنها:

«أُبَيُّ، سَيِّدُ المسلمين»...

وكان «أُبَيُّ بن كعب» في مقدمة الذين يكتبون الوَحْيَ،
ويكتبون الرسائل...

وكان في حفظه القرآن الكريم، وترتيله إياه، وفهمه آياته، من
المتفوقين...

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً:

«يا أُبَيُّ بن كعب..

إِنِّي أَمِرتُ أَنْ أُعْرِضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ...
وأبى يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يتلقى أوامره
من الوحي...

هنالك سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نشوة غامرة:
«يا رسول الله - بأبي أنت وأمي - ... وهل ذُكرتُ
لك باسمي»؟؟..

فأجاب الرسول:

«نعم...»

باسمك، ونسبك، في الملا الأعلى...!!

وإن مُسلماً يبلغ من قلب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
هذه المنزلة هو مُسلم عظيم جدٌ عظيم..

وطوال سنوات الصُحبة، وأبى بن كعب قريب من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينهل من مَعِينِهِ العذب المعطاء..

وبعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق
الأعلى، ظلَّ أبى على عهده الوثيق.. في عبادته، وفي قوة دينه،
وخلقه..

وكان - دائماً - نذيراً في قومه..

يذكرهم بأيام الرسول صلى الله عليه وسلم، وما كانوا عليه
من عهد، وسلوك، وزهد..

ومن كلماته الباهرة التي كان يهتف بها في أصحابه:

«لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوهنا
واحدة..

«فلما فارقنا، اختلفت وجوهنا يمينا وشمالاً»...

* * *

ولقد ظلَّ مستمسكاً بالتقوى، معتصماً بالزهد، فلم تستطع
الدنيا أن تفتنه أو تخدعه..

ذلك أنه كان يرى حقيقتها في نهايتها...

فمهما يعيش المرء، ومهما يتقلب في المناعم والطيبات، فإنه مُلاقٍ
يوماً يتحول فيه كل ذلك إلى هباء، ولا يجد بين يديه إلا ما عمل
من خير، أو ما عمل من سوء..

وعن الدنيا يتحدث «أبي» فيقول:

«إن طعمَ ابن آدم، قد ضُربَ للدنيا مثلاً..

«فَإِنْ مَلَّحَهُ، وَقَذَّحَهُ، فَانْظُرْ إِلَى مَاذَا يَصِيرُ»...؟؟

* * *

وكان «أبى» إذا تحدث للناس استشرفتُهُ الأعناق والأسماع
في شوق وإصغاء..

ذلك أنه من الذين لم يخافوا في الله أحداً.. ولم يطلبوا من
الدنيا غرضاً..

وحين اتسعت بلاد الإسلام، ورأى المسلمين يجاملون ولآتهم في
غير حق، وقف يرسل كلماته المنذرة:

«هَلَكُوا، وَرَبُّ الْكَعْبَةِ..

«هَلَكُوا وَأَهْلُكُوا..

«أَمَا إِنِّي لَا آسَى عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ آسَى عَلَى مَنْ يَهْلِكُونَ
من المسلمين»..

* * *

وكان على كثرة ورَعِهِ وتَقَاهُ، يبكى كلما ذكر الله، واليوم
الآخر..

وكانت آيات القرآن الكريم وهو يرتلها، أو يسمعها، تهزه
وتهزُّ كل كيانه..

على أَنَّ آيَةً من تلك الآيات الكريمة، كان إذا سمعها أو تلاها
تغشاه من الأسى ما لا يوصف..

تلك هى :

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ
فَوْقِكُمْ، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ، أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا..
وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾..

كان أكثر ما يخشاه «أبى» على الأمة المسلمة أن يأتى عليها
اليوم الذى يصير فيه بأسُ أبنائها بينهم شديدًا..

وكان يسأل الله العافية دومًا.. ولقد أدركها بفضل من الله
ونعمة.. ولقى ربه مؤمنًا، وآمنًا، ومُثابًا...

سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ هَنِيئًا لَكَ، أَبَا عَمْرٍو

في العام الواحد والثلاثين من عمره، أسلم..

وفي السابع والثلاثين، مات شهيداً..

وبين يوم إسلامه، ويوم وفاته، قضى «سعد بن معاذ» رضى الله عنه أياماً شاهقة في خدمة الله ورسوله..

* * *

انظروا.!

أترون هذا الرجل الوسيم، الجليل، الفارع الطول، المشرق الوجه، الجسيم، الجزل...؟؟

إنه هو...

يقطع الأرض وثبًا وركضًا إلى دار «أسعد بن زُرارة» ليرى هذا الرجل الوافد من مكة «مصعب بن عمير» الذي بعث به «محمد عليه الصلاة والسلام» إلى المدينة يبشر فيها بالتوحيد والإسلام..

أجل... هو ذاهب إلى هناك ليدفع بهذا الغريب خارج حدود المدينة، حاملًا معه دينه.. وتاركًا للمدينة دينها..!!

* * *

ولكنه لا يكاد يقترب من مجلس «مصعب» في دار ابن خالته و «أسيد بن زُرارة» حتى ينتعش فؤاده بنسمات حلوة هبَّت عليه هبوب العافية...

ولا يكاد يبلغ الجالسين، ويأخذ مكانه بينهم، مُلقياً سمعه لكلمات «مصعب» حتى تكون هداية الله قد أضاءت نفسه وروحه...

وفي إحدى مفاجآت القدر الباهرة المذهلة، يُلقى زعيم الأنصار حربته بعيدًا، ويبسط يمينه مبايعًا رسول الله صلى الله عليه وسلم...

وبإسلام «سعد بن معاذ» تشرق في المدينة شمس جديدة،

ستدور في فلكها قلوبٌ كثيرةٌ تُسَلِّمُ مع «محمد» لله رَبِّ العالمين..!!

* * *

أُسَلِّمُ سعد... وحمل تبعات إسلامه في بطولة وعظمة.

وعندما هاجر رسول الله وصحبه إلى المدينة كانت دور بني عبد الأشهل - قبيلة سعد - مفتحة الأبواب للمهاجرين، وكانت أموالهم كلها تحت تصرفهم في غير مَنْ، ولا أذى... ولا حساب..!!

* * *

وتجىء غزوة بدر...

ويجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين والأنصار، ليشاورهم في الأمر.

ويُيَمِّمُ وجهه الكريم شَطْرَ الأنصار ويقول:

«أشير على أيها الناس..»

وينهض «سعد بن مُعَاذ» قائماً كَالْعَلَمِ.. يقول:

«يا رسول الله..

لقد آمنا بك، وَصَدَّقْنَاكَ، وشهدنا أن ما جئت به هو

الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا..

«فامضِ يا رسول الله لما أردت، فنحن معك...»

«ووالذى بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر

فخضت له لخصناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما

نكره أن تلقى بنا عدونا غدا...»

«إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء..»

«ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك..»

«فيسر بنا على بركة الله»..

* * *

أهلت كلمات «سعد» كالبشريات، وتآلق وجه الرسول رضا

وسعادة وغبطة، فقال للمسلمين:

«سيروا وأبشروا، فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين..»

والله.. لكأنى أنظر إلى مصارع القوم»..

وفي غزوة «أحد» وعندما تشتت المسلمون تحت وقع المباغته

الداهمة التي فاجأهم بها جيش المشركين، لم تكن العين لتخطئ

مكان «سعد بن معاذ»..

لقد سَمَّرَ قدميه في الأرض بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، يزود عته ويدافع في استبسال هو له أهل، وبه جدير!!

وجاءت غزوة الخندق، لتتجلى رجولة «سعد» وبطولته تجلياً باهراً ومجيداً..

وغزوة الخندق هذه، آية بينة على المكيدة المريرة الغادرة التي كان المسلمون يُطارِدُون بها في غير هواة، من خصوم لا يعرفون في خصومتهم عدلاً ولا ذمّة.

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يَحْيَوْنَ بالمدينة في سلام يعبدون ربهم، ويتواصُونَ بطاعته، ويرجون أن تُكفَّ قريش عن إغاراتها وحروبها، إذا فريق من زعماء اليهود يخرجون خِلْسَةً إلى مكة محرضين قريشاً على رسول الله، وباذلين لها الوعود والعهود على أن يقفوا بجانب القرشيين إذا هم خرجوا لقتال المسلمين...

واتفقوا مع المشركين فعلاً، ووضعوا معاً خطة القتال والغزو.. وفي طريقهم وهم راجعون إلى المدينة حَرَضُوا قبيلة من أكبر قبائل العرب، هي قبيلة «غطفان» واتفقوا مع زعمائها على الانضمام لجيش قريش..

وُضِعَتْ خُطَّةُ الْحَرْبِ، وَوُزَّعَتْ أَدْوَارُهَا.. فَقَرِيشٌ وَغُطْفَانٌ
يَهَاجِمَانِ الْمَدِينَةَ بِجَيْشٍ عَرْمَرَمٍ كَبِيرٍ..

وَالْيَهُودُ يَقُومُونَ بِدَوْرٍ تَخْرِيبِيٍّ دَاخِلِ الْمَدِينَةِ وَحَوْلَهَا فِي الْوَقْتِ
الَّذِي يَبَاغِتُهَا فِيهِ الْجَيْشُ الْمَهَاجِمُ..!!

وَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْمُؤَامَرَةِ الْغَادِرَةِ رَاحَ يُعِدُّ
لَهَا الْعُدَّةَ.. فَأَمَرَ بِحَفْرِ خَنْدَقٍ حَوْلَ الْمَدِينَةِ لِيَعُوقَ زَحْفَ الْمَهَاجِمِينَ.

وَأَرْسَلَ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ، وَسَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ إِلَى «كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ»
زَعِيمِ يَهُودِ بَنِي قَرِيزَةَ، لِيَتَيَّنَّا حَقِيقَةَ مَوْقِفِ هَؤُلَاءِ مِنَ الْحَرْبِ
الْمُرْتَقِبَةِ، وَكَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ يَهُودِ بَنِي
قَرِيزَةَ عَهْدٌ وَمَوَاقِيقٌ..

فَلَمَّا التَّقَى مَبْعُوثَا الرِّسُولِ بَزْعِيمِ بَنِي قَرِيزَةَ فُوجِئَا بِهِ يَقُولُ
لَهُمَا:

«لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ عَهْدٌ وَلَا عَقْدٌ»..!!



عَزَّ عَلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَتَعَرَّضَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
لِهَذَا الْغَزْوِ الْمُدْمِمِ، وَالْحَصَارِ الْمُنْهَكِ، فَفَكَّرَ فِي أَنْ يَعِزَلَ غُطْفَانَ عَنْ
قَرِيشٍ، فَيَنْقُصَ الْجَيْشَ الْمَهَاجِمَ نِصْفَ عَدَدِهِ، وَنِصْفَ قُوَّتِهِ، وَرَاحَ

بالفعل يفاوض زعماء غطفان على أن ينفذوا أيديهم من هذه الحرب، ولهم لقاء ذلك ثلث ثمار المدينة، ورضى قادة غطفان، ولم يبق إلا أن يُسَجَّل الاتفاق في وثيقة مهيورة..

وعند هذا المدى من المحاولة، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم ير من حقه أن ينفرد بالأمر، فدعا إليه أصحابه - رضى الله عنهم - ليشاورهم..

واهتم - عليه الصلاة والسلام - اهتماماً خاصاً برأى سعد ابن معاذ، وسعد بن عباد.. فهما زعيما المدينة، وهما بهذا أصحاب حق أول في مناقشة هذا الأمر، واختيار موقف تجاهه..

قصَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما حديث التفاوض الذى جرى بينه وبين زعماء غطفان.. وأنبأها أنه إنما لجأ لهذه المحاولة، رغبة منه فى أن يبعد عن المدينة وأهلها هذا الهجوم الخطير، والحصار الرهيب..

وتقدم السَّعدان إلى رسول الله بهذا السؤال:

«يا رسول الله...»

أهذا رأى تختاره، أم وحى أمرك الله به؟؟

قال الرسول:

«بل أمر أختاره لكم..»

«والله ما أصنع ذلك إلا لأنتى رأيت العرب قد رمتكم
عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب؛ فأردت أن
أكسّر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما»..

وأحسّ «سعد بن مُعاذ» أن أقدارهم كرجال وكمؤمنين تواجه
امتحاناً، أى امتحان..

هنالك قال:

«يا رسول الله...»

قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك وعبادة الأوثان
لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا من
مدينتنا تمرة، إلا قرئى - أى كرمًا وضيافة - أو بيعاً..
«أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك
وبه، نعطيهم أموالنا..؟؟»

«والله مالنا بهذا من حاجة..»

«والله لا نعطيهم إلا السيف.. حتى يحكم الله بيننا
وبينهم»..!!

وعلى الفور، عدلَ «الرسول» صلى الله عليه وسلم عن رأيه،
وأنبأ زعماء «غطفان» أن أصحابه رفضوا مشروع المفاوضة، وأنه
أقرَّ رأيهم والتزم به...

وبعد أيام شهدت المدينة حصاراً رهيباً..
والحق أنه حصار اختارته هي لنفسها، أكثر مما كان مفروضاً
عليها، وذلك بسبب الخندق الذى حُفِرَ حولها ليكون جُنَّةً لها
ووقاية..

ولبس المسلمون لباس الحرب.
وخرج «سعد بن معاذ» حاملاً سيفه ورمحه وهو ينشد ويقول:
لَبَّثْ قَلِيلًا يَشْهَدُ إِهْيَجًا جَمَلٌ مَا أَجَمَلَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ!
وفى إحدى الجولات تلقَّت ذراع «سعد» سهماً ويلاً، قذفه به
أحد المشركين..

وتفجَّرَ الدم من وريده وأُسْعِفَ سريعاً إسعافاً مؤقتاً يرقاً به
دمه، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُحْمَلَ إلى المسجد، وأن
تُنْصَبَ له به خيمة حتى يكون على قرب منه دائماً أثناء ترميضه..

وحمل المسلمون فتاهم العظيم إلى مكانه في مسجد الرسول..
ورفع «سعد» بصره شَطْرَ السماء، وقال:

«اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني
لها.. فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهدكم من قوم آذوا
رسولك، وكذبوه، وأخرجوه...

«وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعل
ما أصابني اليوم طريقاً للشهادة...

«ولا تمتني حتى تقرّ عيني من بني قُرَيْظَةَ»..!!

لك الله يا سعد بن معاذ..!

فمن ذا الذى يستطيع أن يقول مثل هذا القول، فى مثل هذا
الموقف سواك...؟؟

ولقد استجاب الله دعاءه..

فكانت إصابته هذه طريقه إلى الشهادة، إذ لقي ربه بعد شهر،
متأثراً بجراحه..

ولكنه لم يمت حتى شفى صدرًا من بني قريظة..

ذلك أنه بعد أن يُست قريش من اقتحام «المدينة»، ودبَّ في صفوف جيشها الهلع، حمل الجميع متاعهم وسلاحهم، وعادوا مخذولين إلى «مكة»...

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تَرَكَ يهود بنى قُرَيْظَةَ، يفرضون على «المدينة» غدرهم كلما شاءوا، أمر لم يعد من حقه أن يتسامح تجاهه..

هنالك أمر أصحابه بالسير إلى «بنى قريظة»...

وهناك حاصروهم خمسة وعشرين يوماً...

ولما رأى هؤلاء ألاَّ مَنجى لهم من المسلمين، استسلموا، وتقدموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجاء أجابهم إليه، وهو: أن يحكم فيهم «سعد بن معاذ»... وكان سعد حليفهم في الجاهلية...



أرسل النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه من جاءوا بسعد ابن معاذ من مخيمه الذي كان يمرّض فيه بالمسجد...

جاء محمّلاً على دابة، وقد نال منه الإعياء والمرض..

وقال له الرسول:

«يا سعد، احكم في بني قريظة...»

وراح «سعد» يستعيد محاولات الغدر التي كان آخرها غزوة
الخنندق والتي كادت المدينة تهلك فيها بأهلها..

وقال سعد:

«إني أرى أن يُقتل مُقاتلوهم..»

وَتُسَبَّى ذُراريهم..»

وَتُقَسَّم أَمْوَالهم...»

وهكذا لم يمت «سعد» حتى شفى صدره من بني قريظة...

كان جُرح «سعد» يزداد خطره كل يوم، بل كل ساعة...

وذاث يوم ذهب رسول الله لعيادته، فألفاه يعيش في لحظات
الوداع فأخذ عليه السلام رأسه ووضع في حجره، وابتهل إلى الله
قائلاً:

«اللهم إنَّ سعدًا قد جاهد في سبيلك، وصَدَّقَ رسولك

وقضى الذى عليه، فتَقَبَّلَ روحه بخير ما تَقَبَّلَتْ به
روحاً...»

وهطلت كلمات النبى صلى الله عليه وسلم على الروح المودعة
بَرْدًا وسلامًا.

فحاول فى جهد، وفتح عينيه راجياً أن يكون وجه رسول الله
آخر ما تبصرانه فى الحياة، وقال:

«السلام عليك يا رسول الله...»

أما إني لأشهد أنك رسول الله...»

وَتَمَلَّى النبى وجه سعد آنَ ذاك وقال:

«هنيئاً لك أبا عمرو...»

يقول «أبو سعيد الخدرى» رضى الله عنه:

«كنت ممن حفروا لسعد قبره...»

«وكنا كلما حفرنا طبقةً من ترابٍ، شممنّا ريح

المِسْك... حتى انتهينا إلى اللحد...»

وكان مصاب المسلمين في «سعد» عظيمًا...
ولكنَّ عزاءهم، كان جليلاً، حين سمعوا رسولهم الكريم
يقول:
«لقد اهتزَّ عرش الرحمن لموت سعد بن مُعاذ»...

سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ حَامِلُ رَايَةِ الْأَنْصَارِ

لا يُذكر سعد بن مُعَاذٍ، إلا ويُذكر معه سعد بن عُبَادَةَ..

فالاثنتان زعيمَا أهل المدينة..

«سعد بن مُعَاذٍ» زعيم الأوس..

و «سعد بن عُبَادَةَ» زعيم الخزرج..

وكلاهما، أسلم مُبَكَّرًا، وشهد بيعة العقبة، وعاش إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم جنديًا مطيعًا، ومؤمنًا صدوقًا..

ولعلَّ «سعد بن عُبَادَةَ» ينفرد بين الأنصار جميعًا بأنه حمل نصيبه من تعذيب قريش الذي كانت تنزله بالمسلمين في مكة..!!

لقد كان طبيعياً أن تنال قريش بعذابها أولئك الذين يعيشون بين ظهرانيتها، ويقطنون مكة..

أما أن يتعرض لهذا العذاب رجل من المدينة.. وهو ليس مجرد رجل.. بل زعيم كبير من زعمائها وسادتها، فتلك مزيةٌ قُدِّرَ لابن عبادة أن ينفرد بها..

وذلك أنه بعد أن تمت بيعة العقبة سراً، وأصبح الأنصار يَتَهَيَّئُونَ للسفر، علمت قريش بما كان من مبايعة الأنصار واتفاقهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الهجرة إلى المدينة حيث يقفون معه ومن ورائه ضد قوى الشرك والظلام..

وجن جنون قريش، فراحت تُطارِدُ الركب المسافرين حتى أدركت من رجاله «سعد بن عبادة» فأخذه المشركون، وربطوا يديه إلى عُنُقِهِ بشراك رحله وعادوا به إلى مكة، حيث احتشدوا حوله يضربونه وينزلون به ما شاءوا من العذاب...!!

أَسَعِدُ بن عبادة من يُصْنَعُ به هذا...!!؟

زعيم المدينة، الذى طالما أجار مستجيرهم، وحمى تجارتهم، وأكرم وفادتهم حين يذهب منهم إلى المدينة ذاهب...؟؟

لقد كان الذين اعتقلوه، والذين ضربوه لا يعرفونه ولا يعرفون مكانته فى قومه..

ولكن، أتراهم كانوا تاركيه لو عرفوه؟؟

ألم ينالوا بتعذيبهم سادة مكة الذين أسلموا..؟؟

إن قريشاً في تلك الأيام كانت مجنونة، ترى كل مقدرات جاهليتها تهياً للسقوط تحت معاول الحق، فلم تعرف سوى إشفاء أحقادها نهجاً، وسبيلاً..

أحاط المشركون - كما قلنا - بسعد بن عبادة ضاربين ومعتدين.. ولندع سعداً يحكى بقية النبأ:

«... فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع على نفر من قريش،

فيهم رجل وضىء، أبيض، شعثاع من الرجال..

«فقلت في نفسي: إن يك عند أحد من القوم خير،

فعند هذا..

«فلما دنا مني رفع يده فلكني لكمة شديدة..

«فقلت في نفسي: لا والله، ما عندهم بعد هذا من

خير..!!

«فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى إلى رجل

من كان معهم، فقال: وَحْكُك، أما بينك وبين أحد من

قريش جوار..؟

«قلت: بلى.. كُنتُ أُجِيرُ لجير بن مُطعم مُجَّارَه،
وَأُمنَعهم مِمَّنْ يريد ظلمهم بيلادى، وكُنتُ أُجِيرُ
للحارث بن حرب بن أُمَيَّة..»

«قال الرجل: فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينك
وبينهما من جوار، ففعلت..»

«وخرج الرجل إليهما، فأنبأهما أن رجلا من الخزرج
يُضرب بالأبطح، وهو يهتف باسميهما، ويذكر أن بينه
وبينهما جواراً..»

«فسألاه عن اسمى.. فقال: سعد بن عُبادة..»

«فقالا: صدق والله، وجاءا فخلَّصانى من أيديهم..»

غادر «سعد» مكة بعد هذا العدوان الذى صادفه فى أوَّله،
ليعلِّمَ كم تتسلح قريش بالجريمة ضد قوم عُزِّل، يدعون إلى
الخير، والحق، والسلام..

ولقد شحذ هذا العدوان عزمه، وقَرَّرَ أن يتفانى فى نصره
رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأصحاب، والإسلام..

* * *

وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.. وهاجر قبله أصحابه..

وهناك سَخَّرَ «سعد» أمواله لخدمة المهاجرين..

كان «سعد» جوادًا بالفطرة وبالوراثة..

فهو ابن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة الذي كانت شهرة جوده في الجاهلية أوسع من كل شهرة..

ولقد صارَ جود «سعد» في الإسلام آية من آيات إيمانه القوي الوثيق...

قال الرواة عن جوده هذا:

• «كانت جَفَنَة سعد تدور مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيوته جميعًا»..

وقالوا:

«كان الرجل من الأنصار ينطلق إلى داره، بالواحد من المهاجرين، أو بالاثنين، أو بالثلاثة..

«وكان سعد بن عبادة ينطلق بالثمانين»!!..

من أجل هذا، كان «سعد» يسأل ربه دائماً المزيد من خيره
ورزقه..

وكان يقول:

«اللهم إنه لا يُصْلِحُنِي القليل، ولا أَصْلِحُ عليه»...!!
ومن أجل هذا، كان خليفاً بدعاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم له:

«اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن
عبادة»..

* * *

ولم يضع «سعد» ثروته وحدها في خدمة الإسلام الحنيف، بل
وضع قوته ومهارته..

فقد كان يجيد الرمي إجابة فائقة.. وفي غزواته مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانت فدائيته حازمة حاسمة..

يقول ابن عباس رضى الله عنهما:

«كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المواطن كلها
رايتان..

«مع على بن أبي طالب، راية المهاجرين..

«ومع سعد بن عُبادة، راية الأنصار»..

* * *

ويبدو أنَّ الشُّدَّة كانت طابع هذه الشخصية القوية..

فهو شديد في الحق..

وشديد في تشبُّهه بما يرى لنفسه من حق..

وإذا اقتنع بأمر نهض لإعلانه في صراحة لا تعرف المداراة،
وتصميم لا يعرف المُسايرة..

وهذه الشُّدَّة، أو هذا التطرف، هو الذى دَفَعَ الزعيم
الأنصارى الكبير إلى مواقف كانت عليه أكثر مما كانت له..

* * *

فيومَ فتح مكة، جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم أميراً
على فَيْلَقٍ من جيش المسلمين..

ولم يكد يشارف أبواب البلد حتى صاح:

«اليوم، يومُ المَلْحَمَةِ..

اليوم، تُسْتَحَلُّ الحُرْمَةُ»..

وسمعتها «عمر بن الخطاب» فسارع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً:

«يا رسول الله ..

«اسمع ما قال سعد بن عبادة..

«ما نأمنُ أن يكون له في قريش صولة»..

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً كرم الله وجهه أن يدركه،
ويأخذ الراية منه، ويتأمر مكانه..

إن «سعداً» حين رأى مكة مُدْعِنَةً مستسلمة لجيش الإسلام
الفاتح.. تذكر كل صور العذاب الذي صَبَّتْهُ على المؤمنين، وعليه
هو، ذات يوم..

وتذكر الحروب التي شَتَّتْها على قوم ودعاء.. كل ذنبهم أنهم
يقولون: لا إله إلا الله ، فدفعته شِدَّتُهُ إلى الشماتة بقريش
وتوعدها في يوم الفتح العظيم..

وهذه الشدة نفسها، أو قل هذا التطرف الذي كان يُشكل
جزءاً من طبيعة «سعد»، هو الذي جعله يقف يوم السقيفة موقفه
المعروف..

فعلى أثر وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، التفت حوله جماعة من الأنصار في سقيفة «بنى ساعدة» منادين بأن يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار.. كانت خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً لذويه في الدنيا والآخرة...

ومن ثمَّ أراد هذا الفريق من الأنصار أن يناووه ويظفروا به.. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد استخلف أبا بكر على الصلاة أثناء مرضه، وفهم الصحابة من هذا الاستخلاف الذى كان مؤيداً بظاهر أخرى أضفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر.. ثانياً اثنيين إذ هما فى الغار..

نقول: فهموا أن أبا بكر أحق بالخلافة من سواه..

وهكذا تزعم «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه هذا الرأى واستمسك به.. فى حين تزعم «سعد بن عبادة» رضى الله عنه، الرأى الآخر واستمسك به، مما جعل كثيرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذون عليه هذا الموقف الذى كان موضع رفضهم واستنكارهم..

* * *

ولكن «سعد بن عُبادة» بموقفه هذا، كان يستجيب في صدق لطبيعته وسجاياه..

فهو - كما ذكرنا - شديد التشبُّث باقتناعه، ومُعِن في الإصرار على صراحته ووضوحه..

وبدلنا على هذه السَّجِيَّة فيه، موقفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعيد غزوة «حُنين»...

فحين انتهى المسلمون من تلك الغزوة ظافرين، راح رسول الله صلى الله عليه وسلم يُوزِّع غنائمها على المسلمين.. واهتم يومئذ اهتماماً خاصاً بالمولَّفة قلوبهم، وهم أولئك الأشراف الذين دخلوا الإسلام من قريب، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يساعدهم على أنفسهم بهذا التآلف، كما أعطى ذوى الحاجة من المقاتلين..

وأما أولو الإسلام المكيين، فقد وكلَّهم إلى إسلامهم، ولم يعطهم من غنائم هذه الغزوة شيئاً..

كان عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم - مُجرَّد عطائه - شرفاً يحرص عليه جميع الناس..

وكانت غنائم الحرب قد أصبحت تُشكِّل دَخْلاً هاماً تقوم عليه معاش المسلمين..

وهكذا تساءل الأنصار في مرارة: لماذا لم يعطهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حظهم من الفىء والغنيمة..؟؟
وقال شاعرهم «حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ»:

وَأَبِ الرِّسُولِ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمِنٍ	لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدَّدَ الْبَشَرُ
عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ، وَهِيَ نَازِحَةٌ	قُدَّامَ قَوْمٍ، هُمُ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا
سَمَّاهُمُ اللَّهُ أَنْصَارًا بِنَصْرِهِمْ	دِينَ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَعْرُ
وَسَارِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا	لِلنَّائِبَاتِ، وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجُرُوا

ففى هذه الأبيات عبر شاعر الرسول والأنصار عن الحرج الذى أحسَّه الأنصار، إذ أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من أعطى من الصحابة، ولم يعطهم شيئاً..

ورأى زعيم الأنصار «سعد بن عباد».. وسمع قومه يتهامس بعضهم بهذا الأمر، فلم يُرْضه هذا الموقف، واستجاب لطبيعته الواضحة المُسْفِرَةِ الصريحة، وذهبَ من فورِهِ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ..

«إِنْ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي
أَنْفُسِهِمْ؛ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِى أَصَبْتَ...»

«قَسَمْتُ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عَظَمًا فِي قِبَائِلِ

العرب، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ...»

هكذا قال الرجل الواضح كل ما في نفسه، وكل ما في أنفُسِ

قومه.. وأعطى الرسولَ صورةَ أَمِينَةٍ عَنِ الْمَوْقِفِ..

وسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ...؟؟»

أَيُّ إِذَا كَانَ هَذَا رَأَى قَوْمَكَ، فَمَا رَأَيْكَ أَنْتَ...؟؟

فَأَجَابَ سَعْدٌ بِنَفْسِ الصَّرَاحَةِ قَائِلًا: .

«مَا أَنَا إِلَّا مِنْ قَوْمِي»..

هنالك قال له النبي: «إِذْنِ فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ»..

وَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَتَابِعَ الْقِصَّةَ إِلَى نَهَائِهَا، فَإِنْ هِيَ رَوْعَةٌ

لَا تُقَاوَمُ..!

جَمَعَ «سَعْدُ» قَوْمَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ...

وَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَمَلَّى وَجُوهَهُمْ

الْأَسِيَّةَ. وَابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً مُتَأَلِّقَةً بِعُرْفَانِ جَمِيلِهِمْ وَتَقْدِيرِ صَنِيعِهِمْ..

ثم قال :

« يا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ..

«مقالةً بلغتني عنكم، وَجِدَّةٌ وَجَدْتُهَا عَلَيَّ فِي
أَنْفُسِكُمْ..؟؟

« أَلَمْ آتِكُمْ خُيْلًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ..؟؟

«وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ..؟؟

«وَأَعْدَاءً، فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ..؟؟

قالوا:

« بلى ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ وَأَفْضَلُ..

قال الرسول:

«أَلَا تَجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ..؟؟

قالوا:

«بِمِ نَجِييِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ...؟؟

لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ...

قال الرسول:

«أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ وَصَدَّقْتُمْ:

«أَتَيْتَنَا مُكَذِّبًا ، فَصَدَّقْنَاكَ..

«وَمُخْذُولًا، فَنَصَرْنَاكَ..

«وَعَائِلًا، فَأَسَيْنَاكَ..

«وَطَرِيدًا، فَأَوَيْنَاكَ..

«أَوْجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُغَاةٍ مِنَ
الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا، وَوَكَّلْتَكُمْ إِلَى
إِسْلَامِكُمْ...؟؟

«أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ
بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا أَنْتُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى
رِحَالِكُمْ...؟؟

«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ
الْأَنْصَارِ...

«وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ..

«اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارِ..

«وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ..

وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ...!!

هنالك بكى الأنصار حتى أخضَلُوا لحاهم..
فقد ملأت كلمات الرسول الجليل العظيم أفئدتهم سلامًا،
وأرواحهم ثراء، وأنفسهم عافية..
وصاحوا جميعًا و «سعد بن عُبادة» معهم:
«رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَسْمًا وَحَقًّا»...

وفي الأيام الأولى من خلافة عمر ذهب سعد إلى أمير المؤمنين،
وبنفس صراحته المتطرفة قال له:
«كان صاحبك أبو بكر - والله - أحبَّ إلينا منك...
«وقد - والله - أَصْبَحْتُ كارهاً لجِوَارِكَ»...!!
وفي هدوء، أجابه عمر:
«إِنَّ مِنْ كَرِهَةِ جِوَارٍ جَارِهِ، تَحَوَّلَ عَنْهُ»...
وعاد سعد فقال:

«إِنِّي مَتَحَوَّلٌ إِلَى جِوَارٍ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ»...!!

ما كان «سعد» رضى الله عنه بكلماته هذه لأمير المؤمنين
«عمر» يُنْفَس عن غيظ، أو يُعَبِّر عن كراهية..

فإن مَنْ رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قَسْماً وحِطّاً،
لا يرفُضُ الولاءَ لرجل مثل عمر، طالما رآه موضع تَكرِيمِ
الرسول وحبّه..

إنما أراد «سعد» وهو واحد من الأصحاب الذين نعتهم
القرآن بأنهم «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»..

أراد ألاَّ ينتظر ظروفاً، قد تطرأ بخلاف بينه وبين أمير
المؤمنين، خلاف لا يريده، ولا يَرْضاه..

* * *

وشدَّ رحاله إلى الشام...

وما كاد يبلغها وينزل أرض «حُوران» حتى دعاه أَجَلُهُ،
وأَفْضَى إلى جوار ربه الرحيم...

* * *